رواية

الجوهرة الرمال

العوسج

مَلحَمَةُ العَالَمِ السُّفْلِيّ

الجزء 2

رواية

العوسج ٢

ملحمة العالم السفلي

© مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ

الرمال، الجوهرة
العوسج ٢. / الجوهرة الرمال - ط١ - الدمام، ١٤٤٦هـ
١٦٠ ص؛ ١٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٦١٠٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٩٩-٧٩-٥

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
aladabce@gmail.com

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

تنفيذ الطباعة
مطبعة الكتاب العربي - الرياض

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989
جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

رواية

العوسج ٢

ملحمة العالم السفلي

الجوهرة الرمال

joalremal
Jo_alremal

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

بعد مرور أعوام من عمرك، ربما تجد نفسك أنك محاصر بعوالم لا تعرفها فخيبتك السابقة أصبحت كابوس تافه بين زحام أحداث الواقع الذي تعيشه

مهما كانت خيبتك الآن فتأكد أنك إنسان تعيش بعالمك، هذا أنا أحمل كابوس لعنة مضت وأحارب به عوالم أخرى لتبدأ ملحمة العالم السفلي ..

(جبران يافا)

مات هابيل المُخلص دون أطفال..

كُلنا أحفاد قابيل القاتل!

(خريتشوف)

المنبوذة

على مسافة من أرض العوسج حيث تهالك جسد جبران وضاع بصحراء لا يعرف وجهته بها عندها أيقن أنه يصافح الموت وأنها النهاية، لكن تلك النهاية قد بدأت من جديد..

عندما أمسكت يد كمد بكفه ونظر بفزع لها ثم غفا غفوته التي تمنى أن تكون الأخيرة..

جبران: لا تفلت يدي مهما فزعت من تجاعيدها، أنا أمسك بك، ولن أتخلى عنك،

هذا ما دار في رأس كمد وهي تتأمل عيني جبران اللتان تنازعان الفراغ والموت قبل أن يسبل جفنيه، غيبوبة جبران جعلتها تصرخ بجنون وهي تجمع الرمال وتغطي به رأسها وتبكي،

لم تدرِ أهي تبكي على أنفاس جبران التي بدأت تتلاشى أو تبكي على موت كمد التي ما عادت تستطيع العودة إليها.

تلك الصرخات التي شقت سماء الليل هي التي جلبت حولها بعض الفرسان من قبيلة الأهوار، أحاطوا بها، بعضهم يستل سيفه والآخرون يصوبون نحوها سهامًا ذات ألوان عجيبة؛ عرفت فيها

السهام الخضراء الخاصة بهم، وهي التي تستخدمها قبائل الصيد من الجن، لم تبالِ وهم يقتادونها..

عجوز شمطاء هزيلة محدودبة الظهر ومكشوفة الرأس الأجعد الذي اكتساه الشيب، بينما تكفل آخرون بحمل جسد جبران، التي أصرت أن يحملونه معها، غصة محرقة اعتصرت أعماقها؛ لكنها قد فقدت القدرة على كل شيء، إنها بالكاد تتنفس لتبقى حية، ما عاد لأي شيء قيمة، تريد النجاة والخلاص ذاك الصمت الذي تشعر به وكل داخلك يبكي قهراً.

وصلت المجموعة إلى حيث قبيلة الأهوار، التي تتوسط الوادي، وأخذوا جسد جبران إلى قبة صفراء في أطراف القبيلة، بينما اقتادوها هي لتقف أمام قائد فرسان الأهوار، الذي أخذ يتأملها قليلًا، قبل أن يسألها في صوت حازم:

من أنتِ؟ وما الذي أتى بكِ إلى الأهوار؟

صاح أحد الفرسان قائلًا: لقد وجدناها على مسافة من أرض غيلان، لابد وأنها دسيسة أو أنها هاربة منهم لسبب ما.

نظر مرة أخرى نحوها، ثم اقترب بخطوات هادئة، أزاح خصلة الشيب من على رأسها ويقول: لقد رأيتكِ من قبل

لم تكن تنوي الإجابة، وأرادت أن تترك لهم الحرية ليفعلوا ما يفعلوه بجسد عجوز شمطاء، روحها ما عادت تبالي بالتعذيب أو الموت، كل شيء كان يرسم دوائر تتضخم فوق رأسها، فجأة عم الظلام وما عادت تشعر بأي شيء.

***

في تلك القبة الصفراء التي لمحتها كمد أثناء دخولها إلى قبيلة الأهوار رقد جسدها المنهك، وإلى جوار السرير وقفت جنية يافعة ترتدي زي القتال وهذا كان من النوادر في عالم الجن، عجزت كمد عن مقاومة ذلك الوهن فأسبلت عينيها مستسلمة لذلك الثقل الذي غمر جفنيها

كانت الفتاة تتأملها في عجب حتى قطع تأملاتها انفراج باب القبة لتعبر منه جنية عليها مهابة تتضح من لباسها المختلف وذلك الطوق على رأسها والذي بدا وكأنه تاج فيروزي، ما إن رأتها الفتاة حتى انحنت في احترام وهي تقول:

سيدتي الكاهنة

أشارت لها الكاهنة برأسها وهي تقترب من جسد كمد

تأملتها قليلا بينما الفتاة تقول في إعجاب:

أثبت الرذاذ الأبيض مفعوله مجددًا فلقد غابت عن الوعي فجأة وبدون مقدمات مما جعل قائد الحرس كلاوون يطلب نقلها إلى القبة، لقد نجحت الحيلة سيدتي

أومأت برأسها تلك السيدة ثم قالت بصوت حازم:

ما كنت لأدع ذلك الغبي يسيء لابنة غيلان

اتسعت عينا الفتاة بتعجب:

هل تعنين أن هذه العجوز..

أكملت الكاهنة:

نعم، إنها كمد ابنة غيلان، ما أتعجب منه هو كيف حُبست في هذا الجسد

نظرت الفتاة لجسد العجوز بنظرة مختلفة بينما الكاهنة تشير لها:

اذهبي إلى دار الاستشفاء وأحضري لي عقار النخالة ونبات العليق مع مزيج أعشاب الجبل

أومأت الجنية في طاعة وغادرت بينما الكاهنة تتأمل جسد كمد:

ترى، ما ورائك يا ابنة غيلان

***

فتحت كمد عينيها ببطء لترى ملامح الكاهنة التي تجلس إلى جوار سريرها، شكلها العجيب لم يمنع كمد من الارتياح لها، أحست بعدها بضيق في مشاعرها

بررت ذلك لنفسها: ربما لأنني محبوسة في جسد عجوز مثلها

ابتسمت السيدة:

أصدقك القول بأنني أصغر بكثير من جسدك هذا

ثم اتسعت ابتسامتها مواصلة:

ولكنني أكبر قليلاً من جسدك الحقيقي يا كمد

اتسعت عينا كمد والكاهنة تكمل:

كل الكهنة الكبار من الجن يجيدون التخاطر وسماع الأفكار، أنبأ عن كيف عرفت فهذا أيضًا من اختصاص الكهنة حيث إن لهويتك الحقيقية طاقة لا يمكن إخفاؤها عن الكهنة وتعتبر بصمة خاصة بكِ مهما غيرتي شكلك فالبشر وعامة الجن ينخدعون بذلك، ولكن ليس نحن معشر الكهنة يا صغيرتي

تنهدت ثم سألت في حنان:

أخبريني ما حدث

دخلت الجنية الشابة في تلك اللحظة فأشارت لها الكاهنة:

هذه جينالين، إحدى المقاتلات في قبيلتنا وهي أيضا مرافقتي وسأعهد إليها بحمايتك

أومأت كمد للجنية في ترحاب بينما الكاهنة تقول:

أنا هورا كاهنة قبيلة الأهوار

أرادت كمد أن تتكلم، لكن هورا أشارت لها إلى الطرف الآخر من القبة فاستدارت برأسها لترى جسد جبران على سرير مماثل تحت غطاء أخضر يبدو لامعا وكأنه مدهون بمادة زيتية

قالت هورا:

إن حالته متدهورة لذلك أضعه تحت غطاء من الألياف والزيوت حتى تبقي جسده ينبض لحين يستعيد وعيه مع أنني أعتقد أن هذا صعب للغاية في الوقت الراهن

قالت عبارتها ثم عاودت السؤال:

ألن تخبريني ما حدث لك؟

أومأت كمد ثم بدأت تروي لها ما حدث

***

كاهنة الأهوار: هورا

عبر فارس عريض الجسد من فرسان الجن مدخل قيادة غيلان في قبيلة العوسج، ثم انحنى وهو يقف أما العرش الذي اعتلاه زعيمهم ثم قال في ارتباك:

لم نجد لها أثراً يا مولاي

هز غيلان رأسه في نفاذ صبر:

إنها لم ترجع إلى الأرض بكل تأكيد ليس وهي بتلك الحالة، كيف تختفي دون أثر؟

عاود الفارس الحديث:

فقدنا الأثر بالقرب من الأهوار، لو اقتربنا أكثر لكان فرسانهم قد رصدونا

عقد غيلان حاجبيه:

ليكن، ولكن راقبوا المنطقة جيدا وأبلغوني بأية تحركات تحدث هناك مهما كانت

هز الفارس رأسه ثم انحنى ليغادر بعدها

اقترب الحكيم روماس من غيلان وقال في قلق:

وجود الإنسي معها قد يخفف من المسألة، ولكن ما يليق أن يكتشفوا امرها

نهض غيلان وسار يشبك كفيه خلف ظهره:

لست قلقاً من فك اللعنة فهذا لا يستطيعون فعله ما دمت حياً، أنا أخشى من أمر آخر يا روماس

سأل الحكيم في فضول:

هل أستطيع معرفته يا مولاي؟

تطلع إليه غيلان قليلا ثم قال بلهجة آمره:

أرسل في طلب المجلس للتشاور، علينا أن نكون مستعدين لكل ما سيخرج من حدود قبيلة الأهوار

انحنى الحكيم وغادر بينما أعماق غيلان تعصف بشدة

***

ظهر التأثر والقلق على ملامح هورا، بينما جينالين عجزت عن إخفاء مشاعرها المتعاطفة مع كمد

هنا تولت هورا زمام الحديث:

علينا أولا أن نزيل اللعنة عنكِ

قالت كمد في يأس:

لا طريقة لذلك أبداً إلا بأن يزيلها غيلان أو أن يموت

قالت هورا بتساؤل:

غيلان ...؟!

قالت كمد في سخط:

لن أناديه أبي بعد كل ما فعله

تنهدت هورا:

لا أخفيك أنني أتفق معه في المبدأ، لكنني أخالفه في الطريقة

أكملت هورا:

هناك طريقة لرفع اللعنة يا كمد، إنما في البداية يجب أن أطلع زعيم الأهوار على الأمر

نهضت بعد عبارتها مواصلة:

سأعود لكما بعد أن أنتهي من لقاء دثار

غادرت هورا القبة وفي طريقها نحو مقر دثار زعيم قبيلة الأهوار تفاجأت بمخلوق صغير يحوم حولها تأملت لترى فراشة زرقاء لونها بارز عن محيطها، خامرها شعور عجيب هذا ليس بموسم الفراشات ولا أرض الجن كانت مرتعا لهذا النوع من المخلوقات

حط الفراشة على كفها وفي لحظة تناثرت إلى رماد أزرق لامع

فهمت هورا الغاية وغيرت وجهتها عن مقر دثار إلى قمة الكثيب الأحمر خلف الأهوار

***

وصل دثار زعيم الأهوار إلى مقر القبيلة برفقة فرسانه بعد رحلة صيد موفقة، وما إن ترجل من على فرسه ذات الشعر الطويل والقرن الأحمر في مقدمة جبهتها حتى قال في اهتمام:

أين هورا؟

ارتبك وزيره وقال:

كانت في طريقها إلى هنا ثم غيرت رأيها فجأة وغادرت القبيلة

تأفف دثار:

تلك الكاهنة اللعينة!

استدرك الوزير:

ربما ذهبت لإحضار مكونات لأدويتها العجيبة خاصة وأن تلك المريضة بدت في حالة يرثى لها

قال دثار:

تقصد ابنة غيلان

اتسعت عينا الوزير بينما دثار يواصل:

أتظن أنني لا أعلم ما يدور في قبيلتي يا كندال؟

زاد ارتباك الوزير كندال:

كنت سأخبرك في الوقت المناسب مولاي

صرخ دثار:

أنا من يحدد الوقت إن كان مناسباً أو لا يا كندال، كان الأجدر بك إبلاغي قبل أن يصلني الأمر من جواسيسي في القبيلة

تنهد ثم واصل:

سأنتظر ما تأتي به هورا قبل أن أتخذ أية خطوة، الأمر لا يبدو سليماً أبدا فغيلان لم يرسل خبراً ولم يقترب فرسانه من منطقتنا وكأنه يتخلى عن ابنته بعد أن حبسها في جسد الساحرة العجوز

أومأ كندال موافقاً:

نعم مولاي الأمر مريب ولهذا كنت أنتظر خطوة هورا القادمة والآن سأضع من يتبعها

أشار له دثار:

إياك أن تفعل، هورا من كهنة النجمة وأي مراقبة ستكون مكشوفة بالنسبة لها ولا أريد استعداء كاهنة عالية المقام مثلها فتنقلب علي السماء من مجلس الكهنة

عاود الإشارة للوزير مواصلاً:

عليكم مراقبة القبة والحذر من جينالين لأن ولائها لهورا مطلق، فلا يحاول أحدكم استنطاقها أو محاولة الحديث معها نهائياً

غادر الوزير بينما دثار يقول في قلق:

ترى ما لذي تخططين له يا هورا؟

***

هناك مساحة فاصلة ما بين الوعي الممتلئ بالكلام

وبين غفوتك والصمت..

هذه المساحة مأهولة بالمخذولين الذين لم يجدوا

مكاناً مناسباً للصراخ.

كمد

الكثيب الأحمر

وصلت هورا إلى الكثيب الأحمر في خلف حدود الأهوار وبدأت تتلفت حولها قائلة:

اظهر فلا وقت لدي أضيعه في الحديث معك

ظهر من خلف الكثيب بجسد ضخم مفتول الجسد يرتدي عباءة لها قلنسوة قائلا بصوت قوي لكنه حنون:

مضت سنين طويلة يا كاهنة النجمة

شبح ابتسامة يطفو على شفتي هورا:

هذا صحيح يا غيلان، ما لذي تريده ؟

نزع قلنسوته فبانت ملامحه التي جعلت معالم الارتباك تظهر على وجه هورا

ابتسم غيلان:

هل أفزعتك ملامحي بعد كل تلك السنين

بدا الارتباك في صوتها أيضا:

على العكس

ثم استجمعت شتاتها:

ماذا تريد يا غيلان؟

اقترب منها:

أريد أن تتركي كمد وشأنها، إنني أعاقبها على الخطيئة الأولى

عقد هورا حاجبيها وغيلان يواصل:

لإنها تحب ذلك الإنسي المصاب بلعنة القتل

تصنعت هورا الدهشة، ثم قالت:

هذه صبيانية منها، والواضح أنها تكيد لك فقط، وهذه طبيعة في كل الإناث من الجن والإنس.. العناد

حاول الحديث لكنها واصلت:

هذا لا يبرر لك أبدا حبسها في جسد العجوز وجوم وحجب قوتها عنها يا غيلان

تنهد غيلان:

أنا نفسي لا أعلم مدى قوتها يا هورا

تساءلت الكاهنة:

ماذا تقصد؟

ارتبك وبدا أنه قد انزلق بلسانه إلى شيء لا يريد الإفصاح عنه فقال:

ما أريده منك أن لا تحاولي كسر اللعنة

نظرة عجيبة بدت على ملامحها وهي تقول:

لا تقلق أنا أعلم أن اللعنة لا تزول إلا بيدك أو بموتك

ابتسم غيلان:

يسعدني أنك لا تريدين موتي رغم كل ما حدث

بادلته الابتسام:

أنت لم تخذلني وحدي يا غيلان، بل خذلت الجن كلهم بما فعلت

قال في غضب:

إياكِ واتهامي بالخيانة مجدداً يا هورا، فلقد قاتلت لآخر رمق مع الملك ولم أغادر إلا بعد موته والتأكد من أنها هزيمة ماحقة ولا خير في أن يفنى كل الجن في معركة مات أحد أطرافها

تسارعت أنفاسه في غضب ثم حاول الهدوء وهو يضع كفه على كتف هورا:

كل ما أطلبه منك أن لا تتركي كمد مع ذلك الإنسي وأن تغادر الأهوار دون أن يستغل دثار الأمر ضدي فلست أريد حرباً جديدة

ابتسمت في سخرية:

أنتم جميعا لا تريدون حرباً، حتى دثار بات مثلك مخدوعاً بهذا السلام الزائف فقط حتى لا يتعرض له شاوزر

أعاد غيلان قلنسوته على رأسه:

شئنا أم أبيها شاوزر يحكم الجن الآن ولا خير في أن تعود الحروب بين قبائل الجن دون طائل

قالت هورا في غضب:

دون طائل يا غيلان، أنت من يقول هذا!

أجابها في قوة:

نعم دون طائل، لقد كنا تحت راية ملكية واحدة ولنا دستور وحكم وملك وحد كل العشائر تحت لوائه

ثم أشار بيده:

ماذا الآن؟

الشتات وكل قبيلة تحكم نفسها

ثم تنهد مواصلا:

لنشكر السماء أن حروب القبائل انتهت

استدارت هورا وهي تقول في سخط:

كنت قد بدأت أسعد برؤيتك يا غيلان، لكنك أنت كما أنت متخاذل أفسدتك حياة المذلة في رعاية شاوزر

قالت عبارتها وغادرت في خطوات متسارعة غاضبة

تأملها ثم ابتسم قائلا في خفوت:

هذه المجنونة لم تتغير أبداً

***

غيلان، زعيم قبيلة العوسج

دخلت هورا إلى القبة لتستقبلها جينالين في قلق:

طال غيابك سيدتي وقد جاء أحد حرس دثار يسأل عنكِ

أومأت هورا برأسها:

اضطررت إلى زيارة مكان آخر بشكل مفاجئ قبل الذهاب إليه

ثم واصلت وهي تقترب من سرير كمد:

كل ما كان يريده دثار ألا يتورط في نزاع مع غيلان

ثم واصلت في اشمئزاز:

أيام الجبناء تزيد من ضعفهم

ابتسمت جينالين بينما سألت كمد:

ماذا تقصدين بأيام الجبناء؟

تنهدت هورا ثم قالت:

هذا يستلزم أن أحكي لكِ القصة من أولها يا ابنة غيلان، هل لديك الوقت لهذا

ابتسمت كمد في شحوب:

أنا ممددة على هذا السرير، محبوسة في جسد عجوز هرمة ولا أقوى على الحراك ومجبورة على البقاء هنا حتى يتعافى جبران

هزت هورا رأسها وجينالين تقول:

سمعت في صغري أجزاء من القصة وأنت يا سيدتي سبق وأن وعدتني بأن تحكي لي حكاية شعوبنا من بدايتها

أشارت هورا بيدها:

تقصدين شعبنا

ثم واصلت في اهتمام:

كنا ولا نزال شعباً واحداً ينحدر من منشأ واحد

اتسعت عينا جينالين في فضول بينما بدأت هورا تحكي

***

قبل أن تحكي الكاهنة هورا الحكاية كانت عينا كمد متعبتان وكل ما بداخلها يريد السلامة لجبران ولروحها، الحكاية التي ستسردها الكاهنة لم تستعد لها كمد، وكأنها حكاية تحكى على قبر ميت تتلو له أخبار ما فعلوا من بعده، لا الميت يستطيع سماعهم ولا الحكاية ستغير شيئاً بواقع موته وحقيقة أنه غير موجود..

لم تكن تعرف بأن ما ستروبه هورا هو البداية التي لم تستعد لها كمد والحقيقة التي لم تعرفها والولادة التي ستشهدها بنفسها

فتخيل أنك تشهد ولادتك وتبارك للحياة بمجيئك..

***

مملكة الجن

قبل آلاف السنين بدأ عهد الأرض، الغطاء النباتي والحيوانات كانت بداية كل شيء..

بعدها بدأت المخلوقات تتغير ومن أقصى الشمال قبل العهد الجليدي الأول في قلب الجنوب عند أرض صخرية سوداء كانت ظاهرة تفجر بركان هو الأول على الأرض وطوال أعوام كان اللهب ينتفض من على قمة الجبل الأسود دون أن تغادر الحمم فوهته، كان مخاضاً عجيباً خرجت منه مخلوقات عجيبة لتغادر الكهف على مجموعات تدفعها الغريزة لتجد نفسها في عالم تكتشفه لأول مرة

أشكال الجن الأوائل كانت محصورة بالجن العاديين في تكوينهم المقارب للبشر وفي الجن الطائر والجن الرماديين الذين كانوا أول من غادر فوهة البركان

كان سفح الجبل هو المكان الأول لهذه المخلوقات الجديدة ثم اتسعت رقعة وجودهم لتنتشر إلى الشمال طلباً للصيد والاستقرار

ساعدتهم أعمارهم الطويلة في تكوين مجتمعات على شكل عشائر تطورت بعد ذلك إلى مملكة عظيمة..

بداية تلك المملكة كان في حدث تاريخي يعتبره الجن أساس كيانهم والسبب في نشأة وحدتهم

طائر النار وهو المخلوق الذي تنتشر بين الجن أنه هو الذي أنجب الجن في قلب جبل النار ومنه نبتت جذورهم في البركان كان الرمز الذي يظهر كل ١٠٠٠ عام

ظهوره كان في زمن الجلاء الأول للجن من الجنوب إلى بقاع الشمال، وهناك عند ظهوره تملكهم الرعب فهو طائر عملاق يستقر على جبل مهيب يطل على منطقة تقع في الأرض الوسطى

ظهوره كان جذوة الوجود بالنسبة للجن، يوم كامل الكل يتأمله ويهابه من بعيد

الكل كان يتأمل الطائر في مزيج من الرهبة والخشوع، إلا جنياً شاباً يدعى رونوس

رونوس كان يافعاً اشتهر بالاندفاع والشجاعة، تلك الشجاعة هي التي قادته لأن يقترب من طائر النار، بمجرد أن عرف أهل العشيرة ذلك أصابهم الهلع وانطلقت المحاولات في إثره لثنيه عن تلك المغامرة المجنونة، ولكن كل من حاول اللحاق به فقد الفرصة بمجرد أن وصل رونوس إلى سفح الجبل ثم تسلق إلى حيث يرقد طائر النار من بعيد بدا

لكل العشيرة أن طائر النار سيحرقه دون شك، حتى المتطوعين من العشائر المجاورة أيقنوا بأنها نهاية رونوس الشجاع

لكن طائر النار بدا وكأن إصرار رونوس قد أعجبه فلم يهاجمه، بل وقف بوجهه وكأنه يواجه خصماً نِداً له

بعدها كانت غريزة الطائر هي التي حسمت الموقف فبدأ يرمي كرات النار من فمه على رونوس، اشتعلت قمة الجبل وخيم الحزن على ملامح الجن رغم توقعهم لتلك النهاية إلا أن شجاعة ذلك الجني الشاب كانت ملهمة لهم جميعاً

نيران قمة الجبل بقيت مشتعلة قرابة اليوم وليلة بعدها أطلق الطائر جناحيه للريح وغادر الجبل

ذلك الطائر الذي لا يأتي إلا كل ١٠٠٠ عام، جاء ورحل

انكشف الليل وبزغ الفجر وهدأت النيران فتجرأ أعيان العشائر على صعود القمة، هناك كانت المفاجأة الحقيقية والتي أذهلت كل الجن

رونوس كان حياً يرقد على وجهه في إعياء وعلى ظهره وشم طائر النار

عصفت الأخبار بهذا الحدث وتجمع كل أعيان وكبار عشائر الجن حتى يلتقوا برونوس

شجاعته ألهمت كل بني جنسه، ونجاته من اللهب بتلك الصورة جعلته أسطورة

هنا كان انتقاله ليكون الملك الشرعي المنتخب أمراً مفروغاً منه، اتحد جميع الجن تحت راية ملكية واحدة وأصبح لهم جيش عظيم وتحولت العشائر إلى مملكة في مدينة الجبل الأسود

تغيرت حياة الجن وأصبحت أكثر تنظيماً لأن رونوس لم يكن فقط شجاعاً، بل حكيماً قدم تنظيمات وأسس مجلس حكماء للمشاورات وجمع شتات العشائر وخصص مساحات للصيد تكفي الجميع ووضع مواسم معينة يسمح فيها بالصيد وأخرى للزراعة مما وفر الغذاء والرخاء لكل الجن

المشهد دوماً لا يرضي كل الأطراف والأطماع كانت ولا تزال سببا في انهيار الممالك، وهذا ما حدث عندما بدأ أحد المنبوذين من الجن واسمه شاوزر بالسطو على المزارع وقوافل الصيد مما تسبب في العديد من النزاعات خاصة مع تطور عصابة شاوزر والتي تحولت مع السنين إلى جيش همجي مجرم، وكانت المواجهة المسلحة محتومة

بدأت أيام الحرب الأولى تتجه إلى انتصار مملكة الجبل الأسود لكن خيانة أحد أعضاء مجلس المستشارين تسببت في هزيمة الجيش

وتراجعه إلى القلعة والتحصن بها مما فرض الحصار على الملك الذي كشف الخائن وأعدمه لكن بعد فوات الأوان

طال الحصار وعانت المدينة خاصة مع تسلل القتلة من جيش شاوزر إليها وقتل الكثير من الأعيان

مضت شهور من الإجرام والقتل جعلت المقاومة تضعف حتى انهارت ودخل شاوزر القصر وقتل كل الأبرياء حتى أصابوا الملك بعد أن قتلوا زوجته

حمل رونوس ابنه الرضيع محاولا مغادرة المكان، فكان يركض مره ويزحف مرة أخرى لم ينادي على أحد للمساعدة فلقد كان القصر ملىء بجثث مساعديه والحرس والأدخنة تتصاعد من المكان وصوت صراخ إناث الجن وبكاء صغارهم يغمر القلعة، كان متوجعاً من داخله أكثر من وجع جراحة وأصابته البالغة يحمل ابنه الرضيع بين يديه ويضمه لصدره خوفاً عليه فهو وريث العرش الذي يحمل وشم طائر النار كأبيه، لكن جراح رونوس غلبته فسقط ميتا وابنه على صدره وتعلو صرخاته، اقترب أحدهم من الصغير واخذه ليهرب به من أتون المعركة.

خرج الفارس المجهول بالصغير من القلعة إلى أغوار في قلب صخور رونس التي تقع شمال القلعة والتي كانت بوابة عشائر العالم

السفلي من الجن الرماديين الذين تحالفوا مع الملك لكن لم يمتزجوا ببقية أعراق الجن نظراً لأنهم يختلفون في هيئتهم، وكثير من الجن يعتبرونهم درجة سفلى رغم قدراتهم الكبيرة وأنهم أول من خرج من البركان

وصل الفارس بالصغير إلى كاهن العشيرة جالوس

تأمل جالوس الصغير في تعجب:

من هذا الصغير يا راهم؟

قال راهم في رهبة:

إنه ابن رونوس

اتسعت عينا جالوس وشرع ينزع الغطاء ليكشف ظهر الصبي، وشم طائر النار قد بانت معالمه

تلقفه الكاهن وهو يقول في ألم:

لقد نصحت أباه ان يخفي خطة الحرب عن المجلس فلقد أيقنت أن خائناً كان بيننا لكنه لم يلقِ بالاً لكلامي

ثم سأل راهم في حزن:

هل..؟

أومأ راهم:

نعم لقد مات الملك يا سيدي

تأمل جالوس وجه الرضيع ثم ابتسم:

يبدو أن مملكة الجن قد بقي لها بصيص من الأمل يا أركيدس

نظرة متسائلة من راهم فأجاب جالوس:

كنت موجوداً عند ولادته وسمعت أباه يسميه أركيدس

***

تولى جالوس تربية الصغير والعناية به، وضمه إلى بيته، وكأنه ابن له يحبه ويخاف عليه واخفى عن الجميع هويته حتى لا تصل إليه يدي شاوزر وأتباعه فيقتلونه.

وبعد أن كبر الفتى أخبره بحقيقته وأنه ابن الملك رونوس الملك المعروف بشجاعته وبدأ تدريبه على الفروسية والقتال، ثم أطلعه على تاريخ الجن وبداية مملكة والده، وأنه الوريث لعرش مملكة الجن والأجدر به.

مرت سنوات وتسرب خبر وجود أركيدس، وجود وريث للملك عز شرعية شاوزر التي أخذها بالسلاح والدماء فلايزال الجن يعتبرون رونس ملكهم الشرعي لأنه نال بركة طائر النار

الكثير من العشائر التي تتعرض لظلم شاوزر عصابته التي تحكم في الجبل الأسود أتوا متسللين ليلتقوا بالوريث

جالوس كان يدير كل لقاءات الملك الصغير ويحميه مع راهم الذي تولى تدريبه مع نخبة من فرسان العالم السفلي

جالوس قرر بعد أن احتشد للملك جيش كبير أن يحفظ النسل الملكي وأن يرفع من شأن عشيرة الرماديين في العالم السفلي، فاقترح على أركيدس أن يتزوج وعرض عليه ابنته صافينا

رأى أركيدس في المسألة تحالفاً عظيما ووفاء لمن أنقذوا حياته، فوافق وأقيمت مراسم الزفاف فكان الخبر هو التأكيد الحقيقي الذي احتاجه شاوزر للتيقن من حقيقة وجود وريث من نسل رونوس

***

قدمت صافينا كل حبها لأركيدس فهو الذي تربى معها ووقع حبه في قلبها منذ صباها الأول، وحين عرض أباها عليه أن يتزوجها كانت سعادتها به أكبر من سعادته بها، لم يرى أركيدس بها الحب في البداية

ذلك الحب الذي يرى أنه يستحقه ولا النسل الذي يتوقعه كونه

الوريث لمملكة الجان، وصافينا من الرماديين في العالم السفلي رغم جمالها الفاتن..

لقد كانت صافينا تحبه لكونه أركيدس فقط الطفل الذي نشأ معها والشاب الذي انفرد بوسامته وبنية جسده فكل الفتيات اغرمن به لكن أركيدس لم يلتفت لكل بنات العالم السفلي وكان كل همه مملكة والده وكيف يستردها من قبضة شاوزر، لكنه عاش مع صافينا بسعادة حقيقية رغم الفترة القصيرة التي جمعتهما والتي أثمرت عن إنجاب صغيرة أسماها أركيدس: سيرينا

بولادة سيرينا بدا وكأنه اوفى بوعده لكاهن العالم السفلي، وقد حان الوقت ليعود إلى تنفيذ قدره بأن يستعيد مملكة أبيه ويوحد الجن تحت رايته

لم يودع صافينا بالطريقة التي تليق بحبها وأخلاصها له ، كان همه أكبر من مسألة امرأة تحبه وطفلة جمعته بها، فلقد حملت صافينا بأبنتها منذ أول موسم بعد زواجهما وطوال فترة حملها كان منشغلاً يجهز نفسه للمعركة الكبرى ، وبمجرد أن وضعت حملها حشد أركيدس جيشه واتجه إلى قلعة الجبل الأسود وضرب الحصار حولها وضيق الخناق على شاوزر حتى كاد أن يقضي عليه ، فكل شيء كان يبشر بنصره وأنه قد أقترب من تحقيق حلمه بعودة مملكته، لكن مسلسل الخيانة قد عاد

ليضرب السلالة الملكية وهذه المرة من جهة العالم السفلي حيث قام راهم بغدر أركيدس واستخدم فرقته في ضرب جيش الملك من الخلف مما أتاح لشاوزر أن يفك الحصار مستغلاً الفرصة ويهاجم الملك .

وبعد أيام من القتال مات أركيدس بساحة المعركة مات غدراً وخيانة، واتحد راهم مع شاوزر الذي أعطاه حكم عشائر ما حول الجبل نظير خيانته لأركيدس

غادر جالوس مع قافلة من الرماديين منطقة معسكر أركيدس بعد الهزيمة حتى يعود إلى العالم السفلي، ولكن راهم أرسل قوات حاصرتهم فقتلت صافينا وأصيب والدها الذي تركه راهم حياً فقط عندما رأى جثة صافينا.

لكل حكايات الخيانة سبب ودافع عاش بقلب صاحبه لفترة طويلة، جعلته يكتم طوال هذه السنوات ليصل إلى الخيانة ويفعلها بكل برود ونشوة دون أن يشعر بالأسى لا على نفسه ولا على ما تسببت به هذه الخيانة

راهم أحب صافينا وكان يريدها لنفسه فطالما تحدث معها وتأمل عينيها ورغب أن يدوم حديثها طويلاً ليخفق قلبه بكل مرة يلمحها، لكن قرار جالوس حرمه منها فكانت نقمته على أركيدس التي جعلته ينحدر إلى درك الخيانة.

وبعد أن ماتت صافينا متأثرة بجراحها، ترك راهم بقايا القافلة وجالوس المصاب يغادرون عائدين إلى العالم السفلي.

مصير الفتاة الصغيرة التي تحمل وشم طائر النار وريثة العرش الملكي بات مجهولاً، كثيرون قالوا إنها قتلت مع أمها وآخرون قالوا بأن شاوزر اختطفها ليضمن عدم ظهور وريث جديد

***

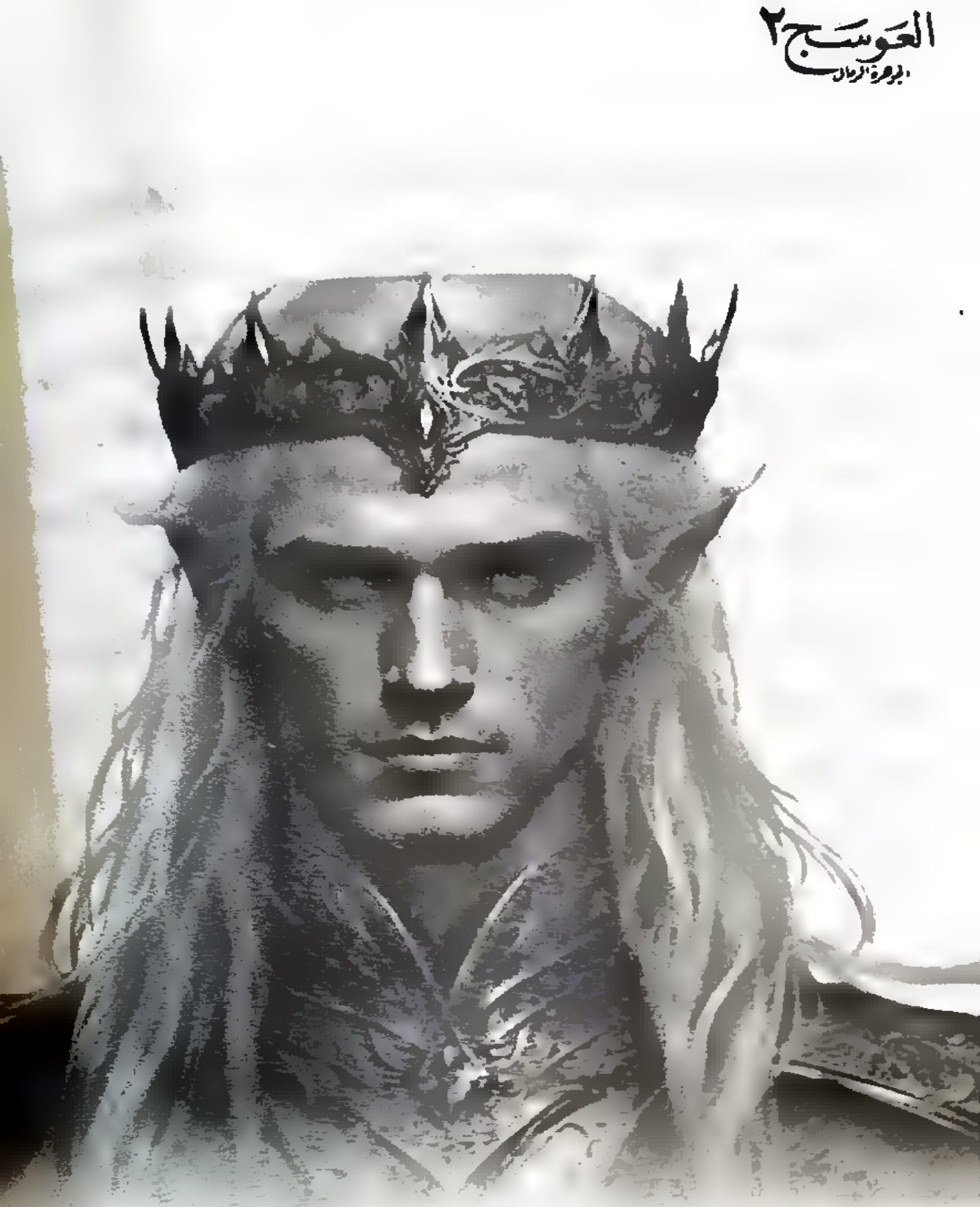

للملك أركيدس

توقفت هورا عن الحديث وأحداق كمد وجينالين متسعة في انبهار، لحظات من الصمت أعقبتها كمد:

لم أكن اعرف البداية لمملكة الجن، الآن فهمت سبب حقد الجن على شاوزر رغم كل تلك السنين

أومأت هورا:

نعم فحتى راهم لم يسلم من شر شاوزر الذي قتله بعدها بفترة لأنه يرى أن من يخون بني جنسه لا أمان له، وأن راهم ما يلبث أن يجد سبباً للانقلاب عليه

تساءلت جينالين:

ماذا حدث لعشيرة راهم؟

أجابت هورا:

يحكمها ابنه الآن وأنتما فيها الآن، فبعد قتل والده انطلق دثار ببقية القبيلة إلى الأهوار وسكنها مقابل عهد بعدم محاربة شاوزر

تنهدت هورا ثم واصلت:

حلم الجن بخروج وريث للسلالة الملكية لايزال هو نبض الأمل الذي يجعلهم يصبرون على أفعال شاوزر

التفتت بعدها هورا إلى حيث جسد جبران:

راهم سفك الدماء غدراً في بني جنسه من الرماديين، ولأنهم عايشوا السحر واتبعوا خطوط النجوم كانت فعلة راهم استمراراً لهذه اللعنة التي انتقلت إلى الإنس مع جريمة أحد الرماديين عندما قتله أحد الإنس في أرض تسمى ألمانيا لتنتشر لعنة القتل في الإنس كما هي في الجن

***

تأملت كمد جسد جبران، حان الوقت لتتبع اللعنة ومعرفة مكان حدوثها فلقد وعدتها هورا بأن تبحث الأمر وتجد علاجاً يخلصه من هذه اللعنة

كانت تتأمل جبران وعينها تذرف الدمع حزناً فكيف بلعنة مثل هذه بدأت من خيانة وغدر وانتهت بقتل دون سبب لتسكن جسده الضعيف وتجعله يرتكب مثل هذه الجرائم!

ثم أدارت بصرها في داخل القبة التي بدأت وكأنها مستشفى من نوع عجيب

فجأة أحست بنيران تشتعل في صدرها، تسارعت أنفاسها ثم أتبعها ألم كالطعنات في أمعائها

صرخت لتدخل جينالين إليها فلما رأتها بتلك الحالة أسرعت تنادي سيدتها هورا

اتسعت عيناها في عجب، ولكنها صرخت بجينالين: أحضري ترياق العوسج والرماد الأبيض بسرعة

انطلقت جينالين إلى زاوية القبة وأحضرت ما طلبته الكاهنة التي أسرعت تمسك وجه كمد وتدفع السائل في جوفها حتى انتفضت انتفاضة أخيرة ثم سكن جسدها وهدأت أنفاسها

لهثت هورا ثم تمتمت:

ماذا حدث لها؟

قالتها ثم التفتت إلى جينالين:

أحضري زجاجة النجمة

تعجبت جينالين من الطلب، ولكنها اسرعت تحضر ما طلبته سيدتها

امسكت هورا بالزجاجة التي بدت قطعة مضيئة ذاتيا ثم فتحت عين كمد، ما إن لمع ضوء النجمة على مقلة كمد حتى شهقت هورا وسقطت الزجاجة من يدها فأسرعت جينالين تلتقطها وأنفاس هورا المبهورة دفعت الرعب لقلبها وهي تسأل:

ماذا هناك يا سيدتي؟

تلعثمت هورا:

يالسماء.. هذا مستحيل

عاودت جينالين السؤال لكنها تفاجأت بهورا تنهض وتشير لها:

أسرعي وجهزي عربة لنا لنأخذها خارج الأهوار بأسرع وقت

نهضت جينالين:

نأخذها خارج العشيرة؟

صرخت هورا:

هل ستكتفين بترديد ما أقول

ثم نهرتها:

جهزي عربة بسرعة لنا نحن الثلاثة

اشارت جينالين إلى جسد جبران:

والإنسي؟

لوحت هورا بيدها:

ليذهب إلى الجحيم، ما نحن فيه الآن أهم من كل هذا

خرجت جينالين تنفذ أوامر الكاهنة، بينما تأملت هورا جسد العجوز الذي يحبس كمد قائلة:

عليك اللعنة يا غيلان

***

إلى العالم السفلي

غادرت العربة محيط قبيلة الأهوار، وما إن فعلت حتى خرج أحد الفرسان إلى مقر دثار ليخبره ما رأى، كان الرد الأول من الحكيم لدثار بأن يلحق بها لكن دثار أجابه:

كم مرة أحتاج أن أذكرك بإنها كاهنة نجوم وستكشفنا وهذا خرق للميثاق الذي قطعه الجن للكاهن الأعظم بأن كل تلاميذه وكهنته خارج أي عمل عدائي أو رقابة؟

ثم قال في ضيق:

آخر ما كنت أريده هو هذه المصيبة من هورا

أشار بعدها إلى قائد الفرسان مواصلا:

تحفظوا على الإنسي في القبة، فلابد أن مصيبة قد حدثت لتجعلها تغادر مع ابنة غيلان بهذا الشكل

فكر قليلا ثم أتبع:

أرسلوا خبراً إلى غيلان

اتسعت عينا الحكيم:

إلى غيلان يا سيدي؟!

أوما دثار:

نعم فهي ابنته على كل حال وإن كان هناك من حماقة سترتكب، ليرتكبها هو وليس أنا

أوما الحكيم وقائد الحرس ثم غادرا مسرعين لتنفيذ أوامر دثار

***

انطلقت العربة بسرعة مجنونة تتجاوز الكثيب الأحمر إلى جهة الشمال، كان جسد العجوز الذي يحبس كمد قد بدأ يعاود الانتفاض مما جعل هورا تدس بعض السائل الأخضر من زجاجة في حزامها ثم تصرخ بجينالين التي تقود العربة:

أسرعي فلن تموت كمد هذه الليلة أبدا

مضت ساعات حتى بدأت جينالين تسمع صيحات مجنونة

نظرت من نافذة العربة إلى الداخل:

فرسان الأهوار خلفنا

أطلت هورا برأسها ثم قالت في غضب:

عليك اللعنة يا دثار، هذا غيلان مع فرسانه

ثم ارتفع صوتها في جنون:

لابد أن ذلك الخائن ابن الخائن قد أرسل له خبراً عن خروجنا من القبيلة

تعجبت جينالين فهي ترى سيدتها ثائرة لأول مرة في حياتها ولكنها نفضت اللجام أكثر لتجبر الخيول الأربعة ذات القرون بالمزيد من السرعة

بدت معالم أرض صخرية تظهر فهتفت هورا:

أحسنت، إنها مشارف الأرض السفلية

بلغ غيلان وفرسانه مسافة قريبة من العربة فتوترت هورا لكن صيحات من الجهة المقابلة بلغت اسماع هورا وجينالين

مع ظهور عدد كبير من الفرسان الرماديين الذين يمتطون مخلوقات عجيبة هي مزيج من الحصان والأسد

من رؤية هذا المشهد صرخ الحكيم روماس وهو يأمر الفرسان بالتوقف فأطل الغضب على وجه غيلان:

كيف تجرؤ؟!

ارتبك الحكيم روماس لكنه قال:

لقاء هؤلاء هو حتفنا الحتمي، ولا يجب أن نخاطر بك يا سيدي

احمرت عينا غيلان لكنه أدرك أنه على حق، ان مواجهة فرسان العالم السفلي هي انتحار خاصة بعدد فرسان قليل

في ذلك الحين اقتربت عربة هورا من الفرسان الرماديين الذين أشاروا لها بالتوقف ثم أشهروا رماحهم الذهبية القاتلة في وجه جينالين

برزت هورا من العربة وهي تكشف عن قلادة كبيرة على صدرها عرف فيها الفرسان شعار الكاهن الأعظم، لكن قائدهم قال في حزم:

حتى لو كنتِ كاهنة نجمة وصولك وأنتِ مطاردة من فرسان العوسج يدل على الكثير

بانت الصرامة على ملامحها:

إياك وأن تتحدث فيما لا يخصك، لقد رأيت شارة الكهنة وواجبك الآن ان تأخذني إلى الكاهن الأعظم

ثم قالت في حزم:

هذه هي القوانين ولا أتوقع أنك ستخالفها

توتر قائد الفرسان لكن كلامها قد ألزمه فأشار لها أن تتبعه

***

وصلت هورا ومعها الفرسان يحملون جسد كمد تعاونهم جينالين، وما إن أقبلت على ردهة قصر الكاهن الأعظم حتى جاء صوت جهوري:

ما الذي جاء بك يا هورا على هذا النحو

انحنى الجميع ومعهم هورا بينما برز شيخ طاعن في السن لكنه قوي البنيان يرتدي زيا بسيطا ويمسك بعصا من العاج الأبيض على قمتها جوهرة زرقاء تشع بنور ذاتي خلاب.

وصل إلى الجمع فأشار بيده لينهض الجميع وهورا تقول في لهفة:

مولاي الكاهن الأعظم، إن هذا الجسد يحبس ابنة غيلان كمد

تطلع إليها في تساؤل فواصلت:

لن أقوى على شرح ما رأيت وآمل منك أن ترى بنفسك

تأملها الكاهن الأعظم سيد العالم السفلي قليلا ثم اقترب من جسد كمد

مد يده وبأصابعه فتح مقلتها وقرب عصاه من وجهها

عم الصمت في المكان ثم فجأة هتف الكاهن الأعظم:

ليغادر الجميع

نظرت جينالين نحو هورا فأومأت لها لتغادر مع الحرس

حينها مد الكاهن يديه إلى الأمام فتكونت هالة بيضاء حول جسد كمد رفعتها وأخذتها إلى داخل القصر والكاهن يقول لهورا:

اتبعيني

زادت لهفة هورا وهي ترى أن الكاهن تأثر بما رأته هي في عيني كمد

أرقد الكاهن جسد العجوز الذي يحبس كمد ثم ترك عصاه واحضر زجاجة حمراء ومعها خنجر عجيب لم تراه هورا من قبل

قال وهو يقلب كمد ويكشف ظهرها:

ثبتيها فقد حان الوقت لتحريرها

امسكت هورا بكتفي كمد بينما أدخل الكاهن الخنجر في منتصف كتفيها لتصرخ برعب وألم حينها ومع بدء النزيف سكب الكاهن محتوى الزجاجة من السائل الأحمر داخل الجرح ومن إن سحب الخنجر حتى انغلق الجرح وكأنه لم يكن

نظرت هورا إلى الكاهن في ترقب فقال:

الآن ننتظر حتى تتحرر

سألته في قلق:

هل سيـ..

ابتسم الكاهن:

لا تقلقي على غيلان، لن يصاب بسوء، ولكنه سيعلم أنها تحررت

لم تخفِ ارتياحها، ولكن بصرها عاد إلى كمد التي همدت حركتها تماما إلا من أنفاس متقطعة

قال الكاهن:

لنأمل فقط ألا يكون جسد هذه العجوز قد استنفد قواها

كان هذا بالضبط ما فكرت به هورا وهي تتأمل كمد

الآن بقي فقط انتظار النتيجة، و أي انتظار

***

ما بعد كمد

مرت ثلاثة أيام من الترقب والتراتيل المتبوعة بطقوس اختلط فيها الدخان وغبار النجوم مع الكثير من أعشاب العالم السفلي والتي كانت ضرورية حتى يقوى جسد كمد على الخروج من أسر العجوز وأن تنفك لعنة غيلان عنها

كانت هورا تتأمل ساحة الأرض السفلية من على قمة قصر الكاهن الأعظم عندما سمعت صوته يناديها:

حانت اللحظة يا هورا

أسرعت إلى الداخل لترى أعجب منظر تراه في حياتها، فهي قد سمعت عن التقمص وكثير من الجن لديهم هذه الطبيعة، لكن مفارقة الجسد الحابس للجسد المحبوس كان مشهداً لم تراه من قبل

انتفاضات بطيئة ثم تموج جسد العجوز وجوم وبعدها بدأ يتكسر ثم يتناثر كالرماد ليظهر من بعده جسد كمد

ابتسامة حنونة طفت على شفتي هورا رغماً عنها، لأنها أشفقت على كمد التي عانت الحبس داخل جسد وجوم

عندما ظهر جسد كمد دقق الكاهن الأعظم نظره في ظهرها ثم قال

مخاطبا هورا:

هل رأيتِ هذه الندبة من قبل؟

هزت رأسها نفيا ثم قالت:

لقد عرفتها في صغرها فقط، ولم تسنح لي الفرصة أن اتقرب منها، خاصة وأن غيلان يمنعها من مخالطة جميع من حولها

عقد الكاهن الأعظم حاجبيه:

يبدو أن عملنا لم ينتهِ بعد

تأملت هورا الندبة ثم أشارت:

تبدو طبقة تحجب شيئاً، وليست ندبة فعلية

هز الكاهن رأسه:

بالضبط

ثم أشار للندبة

إنها تعويذة لإخفاء شيء ما على ظهر هذه المسكينة

ثم نادى حارس الباب وطلب منه أن يأتيه بالكاهن شيدون

عقدت هورا حاجبيها إلا انها لم تنطق، فهي تعلم أن شيدون هو

المرشح لخلافة الكاهن الأعظم وانه لا يطلبه إلى لشيء مهم يعجز عن فعله لوحده

وصل شيدون الذي كانت سمته العامة تشبه هيئة الكاهن الأعظم وزيه

نظرة من شيدون إلى ندبة كمد قال بعدها:

إنها تعويذة إخفاء من بقايا علوم الجن في أرض السومريين يا سيدي

هز الكاهن رأسه وشيدون يسأل:

هل تريد أن نزيلها

أومأ الكاهن الأعظم برأسه في لهفة عجيبة

هنا بدأ الاثنان التحضير بوضع العظام حول جسد كمد ثم سكبا عليها سائلا قوامه مثل العسل لكنه شفاف براق هنا وقف الكاهن الأعظم ممسكا برأسها بينما أمسك شيدون بقدميها وبدأ الاثنان يرددان تراتيلا بلغة الجن القدماء اهتز جسد كمد ثم بدأت تصرخ وكأنها تحترق بينما تلك الندبة تنزف من حدودها سائلاً أسود امتزج بالسائل الشفاف الأبيض اللزج فبدأ وكأن السائل اللزج يجمع السائل الأسود في كرة بلورية انحسرت لتتجمع بين كفي شيدون

ما إن اختفت الندبة حتى شهقت هورا في ذهول:

يالسماء

بينما الكاهن الأعظم ترتعد شفتيه في ذهول:

سيرينا

شيدون عجز عن استيعاب المنظر فهو يقف عند قدمي فتاة تحمل على ظهرها وشم طائر النار

***

الكاهن الأعظم: جالوس

سيرينا

تعجبت هورا من ردة فعل الكاهن الأعظم وهو ينحني ليمسح على رأس كمد ويشم خصلات شعرها، بينما ابتسم شيدون في حنان متأثراً بالمشهد

أفاقت كمد، لم تدري لماذا شعرت بالأمان والدفء من ملامح الكاهن الأعظم لكنها بادلته الابتسام وهو يقول:

حمدا للسماء على سلامتك يا صغيرتي

قالت بوهن:

أين أنا؟

مسح على رأسها:

أنتِ في العالم السفلي، في أرض الرماديين، أحضرتكِ هورا بعد أن أصبتِ بأوجاع في معدتك وفقدتِ الوعي

اعتدلت في جلستها وهي تغطي كتفيها بالغطاء الحريري فنهض الكاهن واتجه إلى باب القاعة محدثاً هورا:

اعتني بها ريثما أعود وستأتي الوصيفات بملابس لها في التو

أومأت هورا التي لم يفارقها الذهول بعد وهي تقترب في رهبة من كمد

ملامحها المذهولة جعلت كمد تسألها:

ماذا حدث، لما وجهك ممتقع؟

نهضت هورا إلى زاوية القاعة واحضرت مرآة ثم كشفت ظهر كمد وادارت المرآة حتى ترى ما على ظهرها

اتسعت عينا كمد في ذهول وهي تتأمل طائر النار الموشوم على ظهرها

قالت في صدمة:

لا يمكن لابد أن ثمة خطأ ما، وأن أحدهم..

قاطعتها هورا:

هذا وشم تولدين فيه يا كمد ولا يمكن نقشه

ثم ابتسمت مواصلة:

يجب أن أناديكِ بسيرينا أيتها الأميرة

اتسعت عينا كمد مرددة:

سيرينا

أومأت هورا:

هذا هو الاسم الذي اختاره لكِ أبوكِ الملك أركيدس

دخلت في تلك اللحظة الوصيفات وبدأن بمساعدة هورا في تنظيف كمد من اثار الزيوت والاغتسال ثم الباسها ملابس بدت لها فاخرة جدا ولأول مرة تراها في حياتها

***

خرج جالوس وهو بتقلب ما بين الغضب والتعجب

الغضب لأن ابنته الوحيدة أنجبت طفلتها ولم تجد زوجها بالقرب منها، بل إنه ما إن لمح الطفلة حتى غادر منزل صافينا دون أن ينطق بما أورثها المزيد من الحزن والدموع

أما مصدر التعجب فهو من تصرف أركيدس الغريب مع زوجته، جالوس يتفهم بأن الملك كان سيحظى بزواج أفضل ونسب أعلى لكنه يعلم يقيناً أنه تقبل هذه المصاهرة وفاء منه

خضم الأفكار توقف تماماً وهو يرى أركيدس يقف على التلة وحيداً بعيداً حتى عن حرسه الخاص فنفض كل شيء وهو يقول: من الخطر أن تقف مكشوفاً هكذا أيها الملك

أجاب أركيدس بحزن دون أن يتلفت: أعتذر يا جالوس عما تسببت به لك ولصافينا

ابتسم جالوس: الملوك لا تعتذر يا مولاي، حتى أخطاء الملوك تقومها الأفعال

التفت أركيدس: حتى في هذه تعلمني ولا تعاقبني

قال جالوس بحنان أبوي: أركيدس، صافينا تحبك ولا لوم عليها في زواج فرضته أنا عليها وعليك، لكن من حقها أن تنال بعضاً من رضاك وليس قلبك على الأقل

تنهد أركيدس: أفهمك، ولكن ألا ترى أن الوقت قد حان لضرب شاوزر

رد جالوس بقلق: نعم أعلم هذا، ولكن ما شأن صافينا في الموضوع!

أشار أركيدس بيده: ليست صافينا يا جالوس، بل سيرينا

لم يتمالك جالوس نفسه ليقول في لهفة: أسميتها سيرينا؟

أومأ أركيدس برأسه فواصل جالوس: ما شأنها إذن؟

زفر أركيدس في سخط: إنها أنثى وهذا يجعل حظوظها أقل في وراثة العرش، حتى وإن حملت وشم طائر النار ستبقى محتاجة لمن يشاركها

الملك لأنها تحتاج إلى سلالة نبيلة لتتزوج منها فلا يضيع عرش مملكة الجن

ثم تابع في قلق: هل تدرك صعوبة تلقين هذا كله لفتاة !

أدرك جالوس خطورة ما يتكلم عنه أركيدس فقال بعد برهه: سأتولى هذه المسألة لا تقلق

ابتسم أركيدس: كيف لي أن أقلق وقد أثمرت جهودك في تربيتي لأكون ما أنا عليه الآن

ثم تابع بلهجة متوجسة: المشكلة عندما لا أكون أنا أو أنت مع سيرينا يا جالوس، حينها تكون هذه هي الكارثة الحقيقية

***

تجرأ شيدون على قطع خلوة الكاهن الأعظم متسائلا: ماذا الآن يا مولاي؟

افاق الكاهن من شروده ومسح دمعة فرت من عينه:

ماذا يا شيدون؟

عاود شيدون: ماذا سيحدث الآن؟

ابتسم الكاهن:

وماذا يمكن أن يحدث؟

ثم واصل مبتسما:

ستنقلب الأرض رأسا على عقب، فالنبوءة التي ينتظرها الجن تتحقق، والوريث ظهر وسيكون علينا واجب إعادة الأمور إلى نصابها

قال شيدون:

بطريقة أو بأخرى سيعلم غيلان بالأمر

أومأ الكاهن:

لقد عرف بأننا حررنا جسدها، لكن زوال التعويذة هو الذي سيثير جنونه، مع أنني لا أظن أنه هو من قام بتعويذة الإخفاء

تنهد بعدها مواصلاً: الآن فهمت ما حدث، لقد اختلطت الأخبار عن يوم مهاجمة القافلة وقتل صوفينا، لابد أن غيلان كان أحد حراس القافلة وانه قد اخذ سيرينا معه

عقد حاجبيه وهو يواصل:

أنا ممتن له لحمايتها طوال تلك السنين، ولكن إخفاء هويتها عني وعن كبار الجن يدل على أنه كان يخطط لأمر آخر يساوم فيه بها وهذا ما لن أغفره له أبداً

التفت الكاهن الأعظم بعدها:

أرسل لغيلان وأخبره أننا عرفنا هوية كمد الحقيقية، وحذره من أن يكشف هويتها لأي مخلوق حتى نقرر ما نفعل

تنهد مجددا:

لو علم شاوزر بها لأحرق الدنيا لقتلها حتى يمحو آمال الجن بتوحد مملكتهم من جديد

في تلك اللحظة وصل حارس انحنى ثم قال معتدلا في احترام:

مولاي الكاهنة هورا تقول بأنهن جاهزات

اتجه الكاهن عائداً إلى القاعة بينما مضى شيدون لتنفيذ أوامره

بمجرد دخول الكاهن الأعظم إلى القاعة وقعت عيناه على كمد التي ترتدي زيا يشبه ملابس الأميرات ارتفع حاجباه في حنان:

بالسماء ما أجملكِ، تشبهين أباكِ أكثر من أمك

ابتسمت كمد:

أشكرك يا سيدي، وانني ممتنة لكل ما فعلته من أجلي

ثم التفتت إلى هورا مواصلة:

أستأذنك في العودة إلى الأهوار فهناك الإنسي جبران يرقد مريضاً ويحتاج إلى مساعدتي

انعقد حاجبي الكاهن وهو ينظر إلى هورا:

ألم تخبريها عن قصة سلالتها؟!

أومأت هورا بينما قالت كمد:

نعم سيدي أخبرتني، ولكن واجبي الآن مساعدة جبران وإنقاذه من اللعنة التي جعلته يقتل بني جنسه، لقد وعدته بهذا

عقد الكاهن كفيه خلف ظهره:

سيرينا المسألة أكبر من إنسي تتلبسه لعنة مشؤومة، إن مستقبل الجن ووحدتهم كلها معقودة بوجودكِ ولا يمكنك رمي كل هذا خلفكِ لمجرد إنسي وضيع وقع أسير لعنة قديمة بدأت بين البشر والجن على حد سواء

ثم واصل في نفاذ صبر:

قبل هذا بآلاف الأعوام قتل قابيل هابيل وبعده سيموت الكثيرون بلعنات مختلفة، لكن مستقبل الجن لا مساومة عليه

هزت رأسها في عناد:

لن يمنعني أحد من مساعدة جبران خاصة بعد ما عانيت في سبيل ذلك

حاولت هورا التدخل:

سمو الأميرة المسألة

قالت في عصبية:

ما دمتم ترون أنني أميرة فلا أقل من طاعتي في مسألة مهمة بالنسبة لي

قال الكاهن في غضب:

يبدو أن غيلان كان معه حق

اتسعت عيناها:

ماذا تعني؟

اقترب منها قائلا في حزم:

طيشك وعنادك سيوديان بكِ وبكل بني جنسك إلى الفناء، وهذه الطريقة الساذجة في التفكير لا تجعلكِ ترين الصورة الأكبر من الأمور مهما كانت مكانة ذلك الإنسي عندكِ، فهو ليس مهما لدرجة أن تضحي بمستقبل كل بني جنسكِ لتعودي له وتغامري بانكشاف أمركِ

تملكها العناد:

سأغادر ولن أستمع لأي شيء يمنعني من العودة إلى جبران

قالت ذلك واتجهت إلى باب القاعة بينما الكاهن يقول في حنان:

لا تستمعي لكلامي على أنه من الكاهن الأعظم لأرض الرمادين ثم واصل بحنان:

إستمعي إلى جدكِ العجوز جالوس يا سيرينا

اتسعت عينا هورا بينما استدارت سيرينا لتتأمل الكاهن بنظرة مختلفة

أنه والد صافينا أمها، هي الابنة الوحيدة لجالوس والتي زوجها لأركيدس والدها حباً وولاءاً لتنجب منه سلالة ملكية حتى لا ينقطع النسل الملكي ..

حفيدته التي فقد أثرها منذ أعوام ولا يعرف مصيرها

فتح ذراعيه لكمد يريد أن يحتضنها ونظرته المليئة بالرجاء والحب والدمع

حينها وجدت كمد نفسها ترتمي في حضنه تعانقه بينما هو يضمها إلى صدره في حنان الدنيا متمتماً:

لقد أسعدتِ أعماقي بعودتكِ يا صغيرتي

لم تقاوم هورا دموعها وهي تتأمل المشهد وأيقنت أنه الأمور ستتغير تماما الآن

***

وشم طائر النار

جبران

مضت ساعات طويلة من النقاش حتى هدأت سيرينا واستطاع جنعا الكاهن الأعظم أن يبتكر خطة تقنعها بأن تؤجل العودة إلى الأهوار، لكن حدث مالم يكن في الحسبان وأرسل دثار إلى هورا مندوباً يخبرها إن لم تعد هي وكمد إلى الأهوار بأنه سيقتل جبران..

صرخت سيرينا بحرقة وقهر:

هل سيقتل جبران وأنا السبب!

هل سيموت مرتين وبسببي أيضاً

هنا كان على هورا أن تتدخل لتكون أكثر صرامة من الكاهن: من الغباء أن تقارني مستقبل قومكِ بأجمعهم الذين ينتظرون عودة الوريث لتعود وحدتهم بإنسي ملعون بالقتل!

انتفضت سيرينا: إذن ابحثوا عن وريث آخر غيري

صفعة مدوية جعلت عيني الكاهن تتسعان في ذهول بينما سيرينا تضع يدها على خدها ثم تغادر القاعة كالعاصفة

ارتبكت هورا: معذرة يا مولاي

ابتسم بغضب الكاهن: لا عليك كانت تستحق ذلك

ثم اتسعت ابتسامته وهو يشير إلى حرس القاعة: كنت قد فعلت أنا ذلك، لولا خوفي أن يقتلها الحرس إذا صفعتها

ثم أشار محذرا: لكن لا تعتادي ذلك فهي الأميرة وإن تم الإعلان ستكون الملكة

اومأت برأسها في إيجاب وابتسامة خجل تعتريها ثم غادر خلف سيرينا تاركاً هورا تتأمل المكان في شرود

***

تأملت سيرينا ما حولها في حديقة القصر في شرود من بين دموعها، حتى أنها لم تشعر بقدوم جدها خلفها حتى قال في حنان:

أتفهم مشاعركِ سيرينا

التفتت اليه: حقاً

أومأ برأسه:

نعم فأنتِ تظنين أنه الحب

قالت في غضب: أهذا هو تفهمكِ؟!، السخرية من مشاعري

هز رأسه نفياً: أبدا يا صغيرتي، من تكون في مثل ظروفك كانت

ستجد السلوى والعاطفة في إطار عالم غير عالمها وهذا شيء طبيعي، خاصة بعد نشأتك المعزولة عما حولك بسبب حصار غيلان عليك ليمنعك من الاندماج في محيط عشيرتكِ أو القبائل الأخرى من الجن

حاولت أن تتكلم، ولكنه أشار بيده فصمتت احتراما وهو يواصل: أعاهدكِ أن أتدبر مسألة جبران هذا، ولكن يجب أن تعديني بأنك ستنفذين كل ما أقوله

ثم اقترب منها يمس وجهها بحنان: فلست مستعداً لخسارتكِ مثلما خسرت أمك وأباكِ

أومأت برأسها: كما تأمر يا جدي، المهم ألا أتخلى عن جبران

هز رأسه في تفهم: لن تتخلي عنه، لكنك ستعرفين حقيقة مشاعركِ بعد أن ننفذ خطتنا

واصل بعدها في اهتمام:

دثار أبلغ غيلان بخروج هورا بكِ من الأهوار، وهذا أمر طبيعي فهو لا يريد المزيد من النزاعات وأراد أن يترك لغيلان إفساد الأمور وارتكاب الحماقات

ثم أشار بيده متابعاً: لكن تغير موقفه وطلبه أن تعودي أنتِ وهورا إلى الأهوار وإلا سيقتل جبران يدل على أن ثمة تغييراً في المسألة

فهو إما قرر أن يساوم غيلان بكِ أو أنه قد عرف أمراً جعله يتخذ خطوة مختلفة

واصل في اهتمام:

نحن نتابع كل الطرق وكل المخلوقات الطائرة التي تنقل الرسائل والاخبار بين ممالك الجن والاهم هو تلك التي تتجه إلى القلعة في الجبل الأسود

آخر ما نريده هو أن يشعر شاوزر بأي شيء قبل أن نرتب أمورنا

تساءلت: أمورنا؟

قال مبتسماً: نعم فلابد ان نعقد لقاء مع وجهاء الجن وكبار المعادين لشاوزر حتى يتعرفوا عليك ونبدأ التحرك لكن هذا سيكون بعد عودتك إلى الاهوار وانتهاء مسألة دثار وغيلان

قالت موافقة: حسنا يا جدي سأنفذ كل ما تطلبه مني

مسح خدها ثم قال: أثق بهذا تماما فشبهكِ بأبيك لم يمنع أن تأخذي حنان أمك وطيشها

استدار يريد مغادرة الحديقة ثم توقف واستدار: هوزا تحب بني جنسها، ولم تقصد الإساءة لكنها تصرفت بوحي الانتماء والخوف على الجن فهي تنتظر الوريث منذ سنين، ولابد أن كلامكِ قد صدمها

وجعلها تعيش خيبة أمل عندما بدا مصير إنسي ملعون أهم عندكِ من مصير شعبكِ بأكمله

ابتسمت: سأتحدث معها يا جدي

اتسعت ابتسامته وغادر الحديقة بينما هي تفكر في كلامه، مصير شعب بأكمله مقارنة بمصير مخلوق واحد

هذه كانت بذرة الشك في أعماقها، بل هي الشرارة الأولى في أن تموت كمد وتستفيق سيرينا

***

ليس من السهل أن يموت بداخلك شخصك القديم.. الذي اعتدت على طيشه وغبائه وجنونه ومغامراته التي لا يعرفها أحد سواك.. ليحيا شخص آخر لا تعرفه، شخص تستمع لأوامره وتنفذها ..ربما تشتاق لشخصك القديم لكنك لا ترغب بالعودة إليه لأن شخصك الجديد هو الذي يقودك للنجاة ..

وراء الستار

حصان أشهب له قرن أبيض في منتصف جبهته يشق المسافة إلى أقصى الشمال لعبر الغابات وصولا إلى جرف هائل يطل على أرض صخرية جرداء انتصبت عليها مدينة كبيرة في وسطها قلعة شامخة

وصل الفارس إلى بوابة القلعة فأشهر الحرس حرابهم في وجهه لكنه ما إن كشف عن وجهه حتى خفضوا أسلحتهم وسارعوا بفتح البوابة

تقدم إلى عمق القلعة حتى وصل قاعة مهيبة ما إن عبر بوابتها حتى انحنى قائلا: تحية لملك الجن العظيم شاوزر

على عرش مهيب من البلور استقر جني ضخم مفتول الجسد طاعن في السن أعور العين على رأسه تاج من الذهب قال في غطرسة: ما ورائك يا دثار

رفع دثار رأسه: أخشى يا مولاي أنني أحمل أخبارا سيئة

قالها ثم أكمل يشرح له كل ما حدث منذ عاد فرسان الأهوار بجسد جبران ومعه كمد وحتى هربت بها هورا وكيف تبعهم غيلان، ولكنه عاد خائبا بعد أن وصلوا إلى الأرض السفلية

استمع شاوزر لكل ما قاله دثار ثم قال في غل: يبدو أن جالوس يدبر أمرا في الخفاء فذلك العجوز لايزال يبث سمومه في أوساط الجن ويتحدث عن عودة سليل أركيدس

تردد الحكيم نيرو الذي يقف إلى جوار العرش ثم قال: لولا قدراتهم الاستثنائية لما أبقيت عليهم يا مولاي

هز شاوزر رأسه في غضب: وهذا هو ما يمنعني من القضاء عليهم قدراتهم وكمية القوى السحرية التي يتحكمون بها

ثم أكمل في اهتمام: كل هذا لا قيمة له ولا يعطيهم شرعية لفعل شيء، لكن وجود سليل ملكي هو ما يقلقني فظهور هذا الأمر سيغير الكثير، وستكون لدى الكاهن الأعظم القدرة مع شرعية تكفل له توحيد جيش عظيم ضدنا

نظر بعدها إلى دثار مكملا: مهمتك أن تأتيني بابنة غيلان والاهم أن تحضر لي ذلك الإنسي فلقد حان وقت تحصين مملكتي بقوة لا يهزمها حتى الكاهن الأعظم

لم يستطع دثار منع الرعدة التي ضربت اعماقه وهو يسمع كلام شاوزر، فهذا يدل على أن المزيد من الظلام قد يعصف بعالم الجن

***

هبت رياح باردة جعلت رداء سيرينا يتمايل مع الهواء وهي تقف على تلة تطل على الكثيب الأحمر

اقتربت منها هورا: لا تفكري بالأمر يا سمو الأميرة، بعض الأشياء نفعلها دون تفكير حتى تنجح

ابتسمت سيرينا: انا لازلت بالنسبة لك كمد، لا تنسي ذلك فما إن نتحرك حتى أبدل هذه الملابس وأعود إلى كمد ابنة غيلان

ابتسمت هورا: من أسعد أيام حياتي أن أشارك في هذه المعركة التي انتظرتها منذ كنت يافعة

بان الضيق على ملامح سيرينا: أما انا فما كنت أنتظر سوى أن أجد الاهتمام والحب مثل بقية الفتيات

هنا اقترب الكاهن الأعظم الذي تقلد سيفا منهما: لقد حان وقت رحيلكما، وسأبقي على جينالين معي حتى أرسلها لكما بالمستجدات وطريق الرحلة القادمة

ثم واصل في اهتمام:

المهم أن تعرفا جيدا ما يريده دثار

هنا اقترب أحد الفرسان من الكاهن قائلا: مولاي لقد وصل الكاهن الأبيض

اتسعت عينا هورا في ذهول والكاهن يتركهما فسألتها سيرينا: من هو الكاهن الأبيض

بانت الرهبة في صوت هورا: انه أعظم سحرة الإنس ولابد أن كارثة دعت جدك لاستدعائه

***

توقف ميناس ساحر الإنس الأكبر أمام الكاهن الأعظم، بدا لقاء عجيبا يجمع الإنس بالجن في ظروف أغرب من الخيال

ابتسم ميناس وقال بلغة قدماء الجن: كيف حالك يا صديقي

عانقه جالوس: بخير أيها الصديق الطيب

قال ميناس: لا شك أن رؤيتك سبب من أسباب سعادتي لكنني أعلم يقينا أنك لم تطلبني لذلك

أومأ جالوس: صدقت فالأمر جلل وأردت مشورتك في أسطورة قديمة

قص جالوس على ميناس كل شيء إلى لحظة اللقاء بينهما فعم الصمت الاثنين دقائق طويلة قبل ان يعقد ميناس كفيه خلف ظهره: هل سمعت بأسطورة الكيان؟

عقد جالوس حاجبيه: نعم، ولكن ما شأنها فيما نحن فيه؟

تنهد ميناس: إن صدق حدسي فإن السبب الوحيد لأن يطلب شاوزر جبران هو أنه يريد إحياء أسطورة الكيان

اتسعت عينا جالوس: آهٍ صديقي، كيف غاب عني هذا الأمر

ثم واصل في ذهول: دماء جبران هي لإنسي ملعون إذا امتزجت بدماء ملكية فإنها توقظ كيان الظلام الذي يسكن كهف إبليس في المتاهة

أومأ ميناس: هذا إذا افترضنا ان شاوزر يعرف بشأن سيرينا وهو مالم يتأكد بعد

أشار جالوس: لكنه الاحتمال الوحيد ويجب أن نعمل على أساسه

قال ميناس: ما لذي تحتاجه مني يا صديقي؟

ابتسم جالوس: الكثير أيها الساحر الطيب

وبدأ جالوس يشرح خطته التي جعلت أعماق ميناس تغرق في بحر من الانبهار

***

منذ انطلقت سيرينا مع هورا وهي تشعر بأنها تقترب من الاهوار وليس من جبران كما كانت تتمنى

تذكرت في تلك اللحظة كلمات جدها: ستعرفين حقيقة مشاعرك في كل خطوة من الآن فصاعداً

وصلت إلى الاهوار ودخلت العشيرة ودون مقدمات أحاط بهم الفرسان فصرخت بهم هورا لكنهم تجاهلوها وأطبقوا على سيرينا

أرادت هورا الاعتراض لكن سيرينا أشارت لها بالصمت

اقتادها الفرسان إلى مقر دثار وهنا بدا وكأنه ينتظرها: أهلا يا ابنة غيلان، يسعدني أنكِ تخلصتِ من الحبس في جسد تلك الشمطاء

ابتسمت سيرينا في سخرية: هاقد ظهرت على حقيقتك

ثم واصلت في غل: خائن ابن خائن

ابتسمت هورا ودثار يقول: لا شأن لي بما فعله أبي ولا بما سيفعله بك شاوزر

اتسعت عينا هورا في ذعر: أيها اللعين

أشار لها دثار: لا تستفزيني يا هورا فلن أتردد في سفك دمك إذا عارضتِ ما سيحدث

ثم أضاف في ضيق: لقد تم ترتيب كل شيء وستغادر كمد مع جبران إلى الجبل الأسود الليلة

توقفت مقاومة هورا: إذن سأذهب معها

تأملها دثار ثم قال: هذا شأنكِ

أطبق الفرسان عليهما ونقلوهما إلى عربة سوداء انطلقت بهما على الفور

من على مسافة كانت جينالين تراقب المشهد وما إن انطلقت العربة حتى امتطت حصانها واندفعت إلى ما وراء الكثيب الأحمر

اندفعت العربة بسرعة كبيرة وبعد فترة من التحرك فتحت هورا النافذة وتأملت الطريق في استغراب: هذا عجيب

سألت سيرينا: ماذا هناك؟

ردت هورا: هذا ليس طريق الجبل الأسود إننا نتجه إلى قبيلة العوسج

عقدت سيرينا حاجبيها بينما أكملت هورا: بما أن دثار قد تحدث مع شاوزر فهذا يعني أنه قد أبلغه بشأنك وجبران، لكن إرسالك إلى غيلان ليس له إلا تفسير واحد وهو أنه يريد الخلاص من غيلان بأن يمسحه شاوزر من وجه الأرض إن أخبره أنه قد أرسلك، ولكن غيلان اختطفك رغم معرفته بأن شاوزر طلبك

سيرينا ترى لأول مرة كيف تكون المؤامرة وكيف تصبح الخيانة وباء يقتل كل ما هو جميل

رأت الآن كيف تكون منازعات القوة والحروب على التوازنات ولو كانت على حساب بقية الجن

كل زعيم عشيرة يرى ما يحفظ قوته وزعامته دون اعتبار لبقية الجن مما جعلهم عشائر متناحرة ولا تهدأ بينهم حروب الخيانة والسيطرة

بدت الآن تفكر كيف تضع حداً لهذه المنازعات، صرفت أفكارها عن كل هذا فالعربة تتجه إلى غيلان ومعها هورا وجبران

على الأقل هذا الجزء من خطة جدها يتحقق الآن، في تلك اللحظة كانت هورا تسكب في فم جبران سائلا أخضر جعله يفيق ببطء ووهن

صدمته كانت كبيرة والعالم الذي من حوله بدا خرافياً، ليس من السهل الانتقال إلى برزخ وجودي يوازي العالم الذي تعرفه، وبدأت سيرينا تحكي له ما يحدث مع توضيحات من هورا

عقليته استطاعت بالكاد استيعاب المسألة مع الكثير من الخوف والرهبة من هذا العالم الذي لا يعرف فيه شيئا، إنه الآن يفكر في شيء أكبر من رغبته بالقتل من أجل النوم

إنه الآن يمثل بيدقاً في لعبة خرافية تدور في عالم أسطوري وجد نفسه فيه رغماً عنه، لكنه مرتبط بكل شيء هنا

***

دثار أراد الخلاص من غيلان ليسيطر على أكبر قدر من مساحات الأرض التي ستوفر له المزيد من الفرسان وتعطيه شعباً آخر ينطوي تحت قيادته

هذا ما خطر في باله عندما وضع خطته ليضرب غيلان بجيش شاوزر، مالم يعرفه دثار أنه أضاع الفرصة المثلى ليساوم شاوزر على المزيد من النفوذ والسلطان، لكنه غفل عن ذلك أو تغافل عنه عندما تذكر مصير والده الذي خان أركيدس من أجل شاوزر

الحياد في مثل هذه المعارك القذرة هو الحل الأنسب، ثم تتعامل مع ما تتمخض عنه الأحداث ويكون تصرفك بعد ذلك مع المنتصر في آخر الحرب

دارت تلك الأفكار برأس دثار بينما دخل أحد الفرسان إلى مقره قائلا: مولاي رسول من شاوزر

ابتسم دثار وهو يشير لهم بإدخاله

حان الوقت ليضرب عدوه بعدوه ويخرج هو بثمرة صراعهما

***

صافينا زوجة أركيدس

الخيانة.. من جديد

كوكبة من الفرسان تغادر قلعة الجبل الأسود باتجاه الكثيب الأحمر مع قائد القلعة تيمور الذي اتجه بتعليمات مشددة من شاوزر بمخاطبة غيلان وإرسال كمد وجبران إلى الجبل الأسود

مجلس أعيان القلعة طالب بضرب قبيلة العوسج والقضاء عليها لتكون عبرة، لكن شاوزر كان بحاجة إلى الهدوء في المملكة حتى يرتب موضوع الكيان في المتاهة بأكبر قدر من الهدوء والسرية حتى يفاجئ كل الجن بقدرته المطلقة التي يعجز عنها حتى كهنة النجمة

يبدو أن سنوات القتال أرهقته، أو أنه قد ضاق ذرعاً بالحروب فهو لم يهنأ بفترة مستقرة منذ موت الملك أركيدس

حتى ابنه الوحيد ميكايل، غارق في الملذات والسفر يترك كل شيء وكأن الأمر لا يعنيه، إنه لا يصدق أن وريثه خامل تافه لهذه الدرجة، وكأن السماء تعاقبه على قتل أركيدس وأبيه وتمزيق مملكة الجن إلى عشائر وممالك متناحرة

لم يعلم شاوزر بأن القادم أنكل وسيكون أثقل عليه وعلى عرشه الأسود الذي أقامه بالغدر والخيانة

***

انطلاق العربة في هذه الفترة لم يكن فقط محفوفًا بالمخاطر؛ بل إن المصير الذي تتجه إليه هورا بصبحة الأميرة سيرينا، هو مصير يتحكم بخواتيمه بحياة الجن بأكملها.

لقد عاشت هورا منذ شبابها وهي تتطلع إلى تلك اللحظة التي ترى فيها نهوض الوريث، إلا أنه لم يخطر ببالها أبدًا أن تكون الآن متجهة قسرًا في لعبة توازنات تديرها المؤامرة وتتحكم فيها الخيانة، في نفس العربة مع الوريث، وريث أركيدس، ملك الجن الراحل.

أضمرت هورا في أعماقها الدفاع عن الأميرة إلى آخر نفس في حياتها؛ ولكن اتجاه العربة الآن إلى غيلان يدل على أن كل شيء قد بات مخططًا له، رغبة دثار في الانتقام من غيلان أعمته عن مجرد التأكد من هوية كمد التي كانت عنده في الأهوار، بل إنه لم يفكر حتى لماذا خرجت بها هورا إلى الكاهن الأعظم في الأرض السفلية

الرغبة العمياء في المزيد من النفوذ والمقاتلين والمزيد من الأرض الخصبة للزراعة والصيد أعمته عن حقيقة عاش غيلان طوال تلك السنين يخبئها لغاية في نفسه، حتى يستفيد منها.

لا أحد يعلم ما السر الذي كان يريده غيلان طوال تلك الفترة، ولكن معرفته بهوية الأميرة وعمل تلك الحيلة السحرية لإخفاء الوشم على ظهرها، كان يدل على أن له مآربًا أخرى..

منعها من الامتزاج بعشيرته رغم أنه يعلن أنها ابنته، يخالف أبسط عادات الزعامة فهي التالية في حكم العوسج وكان يجب أن تتعرف على عشيرتها وتخالط حلفاء العوسج وتتعرف على قبائل الجن، كان السر أكبر من أن يخاطر غيلان بانكشافه لذلك عاشت كمد في سجن بلا أبواب فكان عالم الإنس هو سلوتها الوحيدة في خضم كل تلك القيود غير المفهومة بالنسبة لها

تلك الأفكار عصفت برأس هورا بينما كانت الأميرة سيرينا تتأمل جسد جبران بمشاعر مختلفة هذه المرة، لقد أفاق وهو يتطلع إليها بصمت مشدوه

لا يزال مذهولًا مما سمع ومما عرف؛ لكن الأمر بدى غير ذلك تمامًا، فسرعان ما ستعاوده رغبته في القتل، ربما هي الغيبوبة الطويلة التي بقي فيها منذ أن نفاها غيلان خارج العوسج، هي التي جعلته فيما يشبه النوم الطويل وهذا سيمنحه بعض الوقت، لكن اللعنة ما تلبث أن تستيقظ، وحينها يجب التحكم بجبران، فإن تلك القوة الشريرة يسهل متابعتها ومعرفتها في عالم الجن، على عكس عالم الإنس الذين تخفى عليهم مؤشرات العوالم السفلية وقدراتها الخارقة، ففي عالم الجن من له أي قوى كبيرة أو تصيبه لعنة ما يسهل معرفته وتحديد مكانه

ما يبدو كالسحر والخيال في عالم الإنس يبدو أمرًا يسهل التقاطه

ومعرفته في عالم الجن، فتلك هي إشارات اعتادها الجن؛ لطول تعاملهم مع النجوم والسحر.

جبران الآن مستيقظ وفي أي لحظة سيكون خطرًا على من حوله، حتى سيرينا نفسها تعجبت من أفكارها، فهي تفكر في جبران الآن بشكل مختلف تمامًا، هي ترى فيه شخصية محبوسة في لعنة، وهذه اللعنة خطر على كل من حوله بما فيهم بنو جنسها،

لم تكن ترى هذه الأمور من قبل كانت شخصية ثائرة متصابية، تمارس كل ما يرفضه غيلان، الآن هي الأميرة سيرينا ابنة أركيدس التي تنظر إلى الأمور بطريقة مختلفة.

انقبض صدر سيرينا عندما وصلت إلى هذه المشاعر، تعجبت من نفسها؛ ولكن مع هذا الشعور غمرها إحساس بالارتياح ربما لأنها أول مرة تفكر بشخص غيرها، تفكر بمصلحة أكبر منها، ربما لأنها لأول مرة مسؤولة عن شخص غيرها ليس فقط جبران؛ بل هي الآن مسؤولة عن كل من يمثلهم الجن، هذا وحده جعل أعماقها تخفق، وجعل قلبها ينبض بشعور لم تعهده من قبل، إنها اليوم تمثل عالمًا بأكمله وليست كمَد وحدها، هذا وحده كان كفيلًا بأن ترى الأمور بشكل مختلف.

أقبلت العربة على مشارف العوسج إلا أنها في الطريق رأت مجموعة من الفرسان الذين أشاروا لقائد العربة والحراسة التي حولها بأن يتوقفوا، لم يكن هناك مفر من القتال، فقائد العربة والفرسان الذين معه عندهم تعليمات مشددة ألا يقفوا إلا في أرض العوسج، مما دفع الفرسان الذين يعترضون الطريق بأن يطلقوا رماحهم الخضراء مضيئة لتقتل قائد العربة والفرسان الذين معه في الحال، ثم يتقدم مجموعة منهم؛ ليمسكوا بالعربة ويوقفوها.

وعند فتح الباب انحنى أحد الفرسان المغيرين قائلًا: تفضلي يا سمو الأميرة، كنا بانتظارك.

هذا اللقب جعل عيني جبران تتسعان في ذهول، وهو يرى نظرات الحارس إلى من يعرفها باسم كمد، ألتفت إلى كمد وهو يقول:

أصبحتِ بالفعل شخصاً آخر يا كمد

كمد التي تبعها قسراً في رحلة العذاب هذه إلى عالمها الموازي لعالمه

قال في رهبة:

سمو الأميرة!

نظرت إليه سيرينا وهي تهم بالنزول والخصلة الحمراء تغطي نصف وجهها ولم تقل له شيئاً..

لقد رأي شخصاً آخر بعينيها وكأنه بالفعل للتو يعرفها

بدى فعلًا أن الأمور ستتغير وستكون للأحداث منعطفات أخرى، لا أحد يدري عنها حتى الآن.

تفاجأت سيرينا وهورا بأن الفرسان يتبعون جدها الكاهن الأعظم

كان جالوس ينتظرهما خلف التلة المطلة على الطريق ومعه الساحر الإنسي ميناس وكوكبة من الفرسان،

التقى الجميع وأخبر كل طرف ما لديه، كانت المسألة تشتد غرابة؛ خاصة أمام جبران، الذي بدأ يتأمل ما حوله بقلق غريزي

نفس القلق الذي كان سببًا في تحرك هواجسه من جديد، تلك الرغبة المقيتة في سفك الدماء..

الرغبة في القتل بدأت تنهش أعماقه من جديد، لم يعد يدري ما سيفعله بالتأكيد، ولكنه كان متأكدًا بأنه سيحتاج مع هذا التوتر وهذه الحالة التي ألمت به، كان يحضن نفسه يرتجف وعيناه وسيلان لعابه يرسمان خطوطاً على وجهه المتعب

كان موقنًا بحاجته إلى ساعات إضافية من النوم؛ ولكن ما حوله لا يبشر بالخير أبدًا، لقد استفاق على حرب كبيرة بين قبائل الجن، ورحلة

لدعم ونصرة وريث عرش مملكة الجن، والذي تفاجئ أنها هي كمد التي تحولت إلى سيرينا.

كان يستمع إلى ما يُقال حوله بذهول حتى وصل إلى مرحلة الرعب عندما سمع عن الأسطورة الشهيرة للكيان، والتي تشترط وجود دم إنسي مصاب بلعنة القتل ودم ملكي؛ ليستيقظ ذلك الكيان.

هنا استمع الجميع إلى ميناس ساحر الإنس وهو يقول:

كما تعلمون إن ذلك الكيان هو الابن الأول لقابيل بعد جريمة القتل، لا أحد يعلم حقيقة هل هو ابنه من إنسية أم جنية؛ ولكن أكثر ما يروج عن هذه المسألة هو أنه ابن جنية كانت المكافأة التي أعطاه إياها الشيطان لقتله أخاه، لأن إبليس بكل بساطة كان يريد فقط نشر الشحناء والبغضاء بين البشر، ولكن أن يصل الأمر بأحدهم إلى أن يقتل أخاه، كان هذا أكثر مما تمنى وبدى فرحًا جدًا؛ حيث أن خطيئته الأولى وهي الكبر قد تقلصت تمامًا أو تهمشت مع خطيئة ابن آدم وهي قتل أخيه، خاصة عندما أشيع في السماء بأن كل من يقتل سيعاقب به قابيل إلى يوم القيامة.

إبليس كافئ قابيل الذي هرب إلى الجبال واختفى فيها بفتاة من الجن، تشكلت له في أبهى صورة، تزوجها ولم يكشف حقيقتها إلا بعد أن أنجبت طفلها

هذا الطفل الذي رفض حتى هو أن يتقبله، وهجره وأمه، رغم معاناة قابيل، ورغم حقده وحسده لأخيه الذي تطور إلى جريمة قتل، إلا أنه كان يرفض أن يكون في صف إبليس بأي شكل من الأشكال، وهذا ما جعله يترك هذه المرأة وطفلها إلى غير رجعة.

أخذت الجنية طفلها وذهبت به إلى عشيرتها، التي -أيضًا- لم تتقبل هذا الطفل الهجين، فنفوها وإياه خارج القبيلة.

هنا عاشت تلك الجنية على تغذية الحقد والظلام ضد كل من هجرها، سواء أكان قابيل أو قبيلتها، وكبر ابنها ليكون أول سليل من القتلة، فأبوه هو أول قاتل في التاريخ بين كل الأحياء

كانت اللعنة التي أصابت هذا الفتى أكبر من أن يتخيلها أحد، فإن أمه لم تكتفِ بأن يكون ابن أول قاتل في التاريخ، بل استخدمت السحر في أن تجعله قاتلًا محاربًا، هويته وطريقته في الحياة هي سفك الدماء

حتى أن الجن أنفسهم كانوا يخشونه فسموه بالكيان، إلى أن اتحد كل الجن تحت راية واحدة، يومها وعندما أصبحت لهم راية، وأصبح لهم جيش موحد، عجز الكيان عن مواجهتهم، وبدأ سحرة الجن من جماعة النجمة يضعون الطلاسم والتعاويذ له حتى حبسوه بأمر من

الملك أركيدس، في فجوة داخل متاهة، ولن يحرره منها إلا مأبون ملعون يريد الشر بالإنس والجن.

***

تطلعت سيرينا إلى السهل المنبسط أسفل وادي الذهب حيث مسافة أميال من غابة العاج التي تقع خلفها متاهة الأرواح حسب أسطورة قدماء الجن

اقتربت منها هورا في صمت حتى مست كتفها بهدوء، ولكن رغم بساطة اللمسة إلا أن سيرينا بدا وكأنها تستفيق من حلم مفزع..

ارتبكت هورا: أعتذر قاطعت شرودك سمو الأميرة

ابتسمت سيرينا بعد التقاط أنفاسها: لا يزال باكراً على هذا اللقب

أشارت هورا إلى ظهرها: هذا لقبك منذ ولادتكِ

بادلتها سيرينا الابتسام ثم قالت: ماذا الآن يا هورا

تنهدت هورا: يبدو أن علينا الانطلاق إلى قلب الغابة قبل أن يدركنا غيلان، نحن الآن صيد ثمين وكنز كبير لمن يريد التحكم في مصير الجن وكلاهما لا يخفي أطماعه إلا أن غيلان غامض في تعامله ولا زلت أتعجب من طريقته في التعامل مع الأمور فهذا ليس من عادته أبداً

اقترب منهما في تلك اللحظة الكاهن الإنسي ميناس وهو يسير وحده، تعجبت سيرينا في قرارة نفسها لأنه يمشي وحيداً دون حتى حارس كما اعتادت من طريقة جدها، سرعان ما ألقت بهذا الشعور خلفها لأنها تعرفت جدها وعالمها الجديد مؤخراً وليس الموقف يحتمل التأويلات

بدا أن هورا رأت نفس المنظر وهنا أرادت الاستئذان منها بعد وصول ميناس لتعود إلى الكاهن الأعظم لكن ميناس أشار لها: جالوس يريد الراحة قليلاً قبل أن ندخل إلى عمق الغابة كما أنه طلب بعضا من الجنود من العالم السفلي وهم على وشك الوصول

توقفت هورا وبدا على وجهها القلق، هنا أومأت سيرينا لها لكن القلق لم ينزاح عن وجهها وهي تنظر إلى ميناس في شك

ارتفع صوت جلبة قادم من جهة الجنوب، التفتت سيرينا وهورا لتقع أعينهما على كوكبة من الفرسان عرفا فيها فرسان العوسج، لم يلتفت ميناس بل اكتفى بالابتسام في خبث: لا فائدة من المقاومة يا سمو الأميرة

اتسعت عينا هورا في هلع: مولاي الكاهن

أشار ميناس: لا تقلقي فإن عشبة الأرواح تؤدي مفعولها جيدا والكاهن الأعظم يغرق في نوم عميق لن يفيق منه إلا عندما نصل إلى بداية المتاهة بعد الغابة

صرخت هورا وهي تهم بالهجوم عليه: أيها الخائن الوضيع

أخرج من جوف عباءته رمحا أبيض على رأسه مخلب أزرق من إن رأته هورا حتى اتسعت عيناها في رعب وسارعت لتقف أمام سيرينا وكأنما تحميها

قال ميناس في شغف: رائع أيتها الكاهنة أنتِ تعرفين رمح التنين إذن

ثم تابع في نبرة تهديد: هذا يوفر علي الكثير بما أنكِ تعلمين أنه السلاح الوحيد الذي يقتل الكهنة من الجن، وأي حماقة ترتكبونها سيكون ثمنها رأسكِ ورأس الأميرة

قالت هورا في سخرية: هل ستقتل وريثة الدم الملكي وتضيع الفرصة على سيدك الخائن في أن يفك الكيان من أسره

ابتسم ميناس في غموض: ومن قال انها الوحيدة وريثة الدم الملكي؟

انعقد حاجبا هورا بينما صمتت سيرينا في غل وهي تتأمل هذا الوضع الصعب، وبدأت تدير برأسها الحلول للخروج من هذا المأزق

***

بدا الموقف معقدًا جدًا، واتضح الكثير في اللحظة التالية، كان تركيز الجميع على ما يريده شاوزر، وما يتآمر به شاوزر، ولكن لم يخطر ببال أحد أن المؤامرة الحقيقة كانت من طرف غيلان نفسه.

ثلاثة من الجنود الذين ذهبوا إلى الصيد عادوا وشهدوا المشهد الخطير، فأحاطوا بالأميرة، وأصبحوا يواجهون الساحر ميناس؛ لكن الجنود نفسهم لم يستطيعوا الصبر عندما لم يروا الكاهن الأعظم، فأدركوا أن ميناس قد فعل به شيئًا، هجموا على ميناس دون أن يدركوا قوة رمح التنين الذي معه.

كانت معركة خاطفة وسريعة تساقطت جثث الجنود الثلاثة، فصرخت سيرينا في غضب وقهر: ستندم على فعلتك يا ميناس.

وصلت كوكبة الفرسان في تلك اللحظة يتقدمهم غيلان الذي هبط عن حصانه وهو يتأمل هورا بعاطفة عجز عن سترها، ثم يلتفت إلى سيرينا

منحها ابتسامة صافية وهو يقول: تأكدي أنني لم أكن أرغب في أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

تطلعت إليه في غل وهي تقول: من يعبث بمصير بني جنسه لا يُستغرب منه شيئًا، فلابد أن تنقلب الأمور ويعبث بمصير من حوله.

ابتسم غيلان وهي ترد عليه عباراته الشهيرة التي كان دائمًا يقولها لها في صغرها.

انحنى ميناس لغيلان وهو يقول: أهلًا بك يا سيدي

ربَّت غيلان على كتفه وقائلًا: أحسنت أيها الصديق لقد أثبت مجددًا أنك وفي لصداقتنا.

اتسعت عينا هورا وهي تقول: أيها الخائن! ألم يكفك ما فعلته، الآن تريد أن تجبر الجن كلهم على مصير لا يريدونه؟!

قال غيلان: وما أدراكِ أنهم لا يريدونه؟

ثم واصل في سخط: ألا تتوقعين أن الجن فقط يريدون أن يكونوا متوحدين بغض النظر عمن يقودهم؟!

ثم قال في حزم: لولا حاجتي للدم الملكي لما قمت بما قمت به، ولو كنت أرغب في استغلال الأميرة لفعلت ذلك منذ سنين طويلة بعد أن عرفت أنه يمكنني عدم استخدام دمها الملكي، ولكني..

قاطعته في سخط:

ولكنك تحتفظ بها كورقة مساومة تستفيد منها عند الحاجة، أليس كذلك؟

ابتسم غيلان في هدوء، ثم قال: لن أعاتبكِ على غضبكِ، فشعور الخيانة مؤلم، ولكنني لم أخن أحدًا، تأكدي أن شاوزر كان سيذبحها بلا تردد، ولكن لست أدري من سرَّب له أمر أسطورة الكائن المحبوس في المتاهة خلف غابة الأرواح، لست أدري من فعل هذا، وجعله يرغب في إحياء الكائن والسيطرة عليه

ثم واصل وكأنه يقول حكاية لمن حوله: لقد كاد ذكر السلالة الملكية ينطوي، ووجود وريث للأسرة الملكية كاد أن يصبح مجرد أسطورة، لولا أن سرّب أحدهم هذا الخبر إلى شاوزر.

لا أطيق صبرًا على أن يعود الجن كلهم إلى مملكة واحدة، ولكنني أيضًا لا أريد أن تكون هذه المملكة تحت قيادة امرأة من الجن.

قالت سيرينا في غضب: هذا ليس حقك، وليس لك أن تقرر في هذا الأمر.

أشار غيلان من حوله قائلا: كيف لا يكون هذا حقًا لي، وكما ترين أنتم في وضع لا تحسدون عليه الآن

ثم واصل في ثقة: الكاهن الأعظم سيبقى في غيبوبة حتى نصل إلى حافة المتاهة، وصدقيني لا أريد أن أقتلكِ ولم أفكر في ذلك قط، ولكنكِ الآن تُعتبرين تهديدًا لي ولا أستطيع أبدًا أن أترك ثغرة في خطتي بعد كل هذه السنين.

اتسعت عينا هورا: ماذا تقصد؟!

ثم قالت في لوعة: لا تقتلها، ويلك يا غيلان، أتفكر في قتل الأميرة؟!!

واصلت في استجداء: لقد ربيتها وهي صغيرة، لقد كانت في رعايتك طوال تلك السنين، كيف تجرؤ على هذا الأمر؟!

تطلع إليها غيلان قليلًا، ثم قال في قوة: يجب أن تكون طموحاتي هي إنجازات، ولن أدع عواطفي تهزمني وتعيق طموحاتي التي أسعى لتحقيقها بأي شكل.

تغيرت نظرة هورا إلى التوسل، وهي تقول: أليست دماؤها النبيلة ضرورة في خطتك؟

ابتسم غيلان وهو يشير إلى ميناس الذي قال في هدوء: ليست الأميرة وحدها من تحمل دماءً ملكية، إن جدها والذي هو والد والدتها بعد أن تصاهر مع الملك أصبحت دماؤه ملكية، وهي تفي

بالغرض، وهذا الأمر الذي لا يعلم عنه شاوزر ولم يدركه أبدًا، ولكن وجود الأميرة يعتبر خطر يحدق بنا جميعًا.

كنا نفكر في تسليم الأميرة إليه ليقتلها وتنتهي المسألة، ولكن بعد اكتشافه مسألة المتاهة والكيان المحبوس فيها بات من الصعب جدًا أن نستأمن الموضوع.

واصل بابتسامة خبيثة: أصبحت المسألة تحمل مخاطرة كبيرة جدًا، وهي ما لا نستطيع أن نراهن به في هذه المرحلة، لذلك الأميرة يجب أن تموت، وسنتجه إلى المتاهة لإطلاق الكيان من المتاهة ليكون بعدها طائعاً لملك الجن القادم سيدي غيلان.

اتسعت عينا سيرينا في هلع، وصرخت هورا: إياكم، لا تقتلوا الأميرة، لن تمسوها بسوء وأنا حية، لن أسمح لكم بذلك.

قالت ذلك وهي تشهر من تحت عباءتها رمحاً برأس بلوري أخضر، أشهرته في وجه غيلان وميناس، لكن غيلان هز رأسه في أسف قائلًا: ما كنت أرغب أبدًا في أن تكون هذه هي النهاية يا هورا، ولكن سامحيني

ابتسم بعدها في سخرية: سأبني لكِ بحيرة ذهبية حتى تخلَّد اسمكِ في تاريخ الجن.

اشتهرت السيوف، وارتفع رمح ميناس الذي قال في حزم: لن

تفسدي علي ما أفنيت فيه حياتي قالت سيرينا في سخط: وما تساويه حياتك وإن طالت وأنت سبب في هلاك شعوب بأكملها؟

صوب رمحه نحو هورا قائلاً: لقد عشت أكثر من مائتين وخمسين عاماً ولن أخسر هذا البقاء الطويل لأي سبب كان

تعجبت سيرينا وكذلك هورا فأكمل مبتسماً وهو يرى دهشتهما: أتظنان أنني أفعل ما أفعله لغاية في عالمكم أيها الجن، إنه عقار الخلود الذي أمنه لي سيدي غيلان وجرعات منه تطيل أيامي على هذا الكوكب، ولأجلها سأتحالف مع الشيطان نفسه إن دعت الحاجة

تشابكت الأحداث بشكل متسارع بعد عبارته، وبدا أن المسألة تتجه إلى تعقيد لا حل فيه.

وبدا فعلاً أنها النهاية..

***

الساحر الإنسي ميناس

انتقام الأرواح

بدا وأن المسألة انحسمت، ولكن الأقدار كان لها ترتيبات أخرى، الرمح الأزرق الذي انطلق بقوة من ذراع ميناس لم يخطئ الإصابة، ولكنه أخطأ الهدف لأن هدفاً آخر حمى صدر سيرينا.

لم يلتفت أحد إلى ذلك الجسد الهزيل الذي انطلق من وسط المعمعة مستغلًا انشغالهم بتعقيدات الموقف، كانت أسرع حركة يقوم جبران بها منذ أن استفاق..

عبر النصل إلى منتصف صدره، صرخ جبران من الألم، وصرخت سيرينا من اللوعة وهي تمسك به، وهتف غيلان بغضب وجنون: ويلك! لقد قتلت الإنسي.

ارتبك ميناس في تلك اللحظة، هذا الارتباك الذي جعله يتطلع إلى المشهد في ذهول كان كافيًا لينغرز النصل الأخضر البلوري لرمح هورا في صدره وينفذ من ظهره، وهي تقول: مِت أيها الخائن وودع خلودك إلى قعر جهنم.

هوى ميناس على ركبتيه فسحبت سلاحها من صدره، وأدارته بقوة لتفصل رأسه عن جسده، ثم وجَّهت سلاحها ناحية غيلان وجنوده الذين هجموا عليها.

كانت هورا مستعدة لفعل أي شيء لإنقاذ سيرينا التي احتضنت جسد جبران في لوعة ودموعها تغرق وجهها، وهي تصرخ بغيلان: لن أعفو عنك لقد قضيت على كل شيء جميل بيننا، ولن أرضى الآن إلا بأن أقتلك حتى أخلص هذا العالم من شَرِّك.

لقد حضنت جبران وبدأت تمسح على صدره والدماء تتناثر منه، ولكنها لم تودعه لقد همست بأذنه بصوت مرتجف يشقه الحزن: سوف تنجو كما وعدتك.

انقض الفرسان على هورا التي أخذت وضعية القتال، كانت تجيد القتال، ولكن ليس باحترافية عالية مثل المقاتلين الآخرين، إلا أن أعماقها كانت تشتعل بشيء واحد:

لن تسمح لأي مخلوق أن يمس شعرة من جسد الأميرة سيرينا.

بدا الموقف شديد التعقيد، وما أن ارتطم أول سيف بسلاحها انطلقت سهام خضراء من خلف غيلان لتصيب جنوده بالكامل فيتساقطون صرعى.

تلاحقت أنفاس هورا، وبعد أن استوعبت الموقف ذهبت ووقفت أمام الأميرة، جعلت جسدها بين الأميرة وغيلان الذي تأمل السهام التي انغرزت في فرسانه، ثم استدار ليتطلع خلفه حيث مصدر السهام

ليرى سبعة فرسان يتقدمهم فارس مقنع، خيولهم كانت غريبة لا تنتمي لقبيلة أو عشيرة، ألبستهم كذلك لا تحدد الجهة التي ينتمون إليها، لكن الفارس المدرع ذا القناع الذي تقدمهم هبط من على حصانه، ثم استل سيفه

كان سيفه على عكس كل السيوف التي مرت على غيلان، كان سيفًا ذهبيًا، أشهره في وجه غيلان، وهو يقول: خطوة أخرى وسأطيح برأسك.

استدار إليه غيلان ورفع سيفه متحفزًا للقتال صارخًا: لا أنصحك بذلك، فمجموعة أخرى من فرساني قادمة.

قال الفارس الذي يغطي وجهه بقناع وخوذة تخفي وجهه بالكامل عدا عينيه: لن يدركوك أيها الخائن الوضيع

كلمة الخائن جعلت غيلان يعقد حاجبيه، ويقول: عليك اللعنة أنت وجميع الجن، لست خائنًا، إنني أبحث عن مستقبل أفضل للجميع.

قال الفارس وهو يقترب منه: مستقبل مظلم ذلك الذي ينهض على جثث بني قومنا.

ثم واصل بصوت قوي من وراء قناعه: هذه النظرة اللعينة هي نظرة السيطرة والقوة، وليست نظرة توحيد الآخرين، إنها نظرة الخوف والبطش التي لا تدوم أبدًا.

ثم زاد الغضب في صوته قائلًا: أحذرك من المساس بالأميرة فثمنه سيكون حياتك، لقد وجد رجالي قبل قليل المكان الذي خبأت فيه الكاهن، وهو بأمان معنا الآن

تنهدت هورا قائلة: المجد للسماء الكاهن الأعظم حي.

هنا أشار الفارس المقنع بسيفه: الخيار لك إما أن تعود لقبيلتك وتنتظر حكم أميرة الجن عليك بعد أن تعود من المتاهة أو أن أفصل رأسكَ عن جسدك هنا وأنهي هذه المسألة.

تطلعت سيرينا إلى المقنع قائلة: توقف إن كان أحد سيقتل غيلان فهو أنا، ولكن الموت الحقيقي الذي يستحقه هو الموت الذي يعقب محاكمته بعد أن ننهي مسألة المتاهة.

التفت المقنع إليها، ثم قال بعد صمت: الأمر لكِ.

هنا أشار إلى غيلان: لقد أبقينا على حصانك، فامتطيه وغادر إلى قبيلتك.

تطلع إليهم غيلان في غلٍ، ثم اتجه إلى حصانه قائلًا: الأمر لم ينته بعد، وسأراكم قريبًا...

***

تأمل الفارس المقنع ملامح جبران المتألمة، ثم التفت إلى سيرينا وقال: سمو الأميرة لا أمل في نجاته، هذا الإنسي الملعون هالك لا محالة.

قالت سيرينا في ألم: لن أتخلى عنه.

تطلع إليها بعينيه الباردتين، ثم قال: المسألة ليست أن تتخلي عنه أم لا، المسألة أنه الآن سيواجه قدره

ثم أردف في هدوء: كنت أود أن أرافقكم

قال ذلك ونهض ثم واصل: ولكن مهمتي مختلفة في الجانب الآخر، علي أن أؤمن ظهوركم حتى تصلوا إلى غابة الأرواح، ثم أشار إلى جبران:

قد يكون هناك بصيص أمل لإيجاد علاج أو لتأخير موته، لست أدري، ولكن ما سمعته هو أن هناك كوخًا تسكنه ساحرة من ساحرات النجوم القدامى، أعتقد أنها يمكن أن تجد حلًا له في ظل غياب الكاهن الأعظم عن الوعي.

ربما -أيضًا- ستجد حلًا؛ ليستفيق الكاهن الأعظم قبل موعده الذي قال عنه ميناس.

هنا قالت هورا: لقد أسقيت الكاهن الأعظم الآن من أعشاب

السدر والخزامى مع مزيج من مياه البركان القديم، هذا كفيل بأن يجعله يستعيد وعيه، ويقضي على تعويذة ميناس.

أومأ الفارس المقنع برأسه ثم قال: حسنًا فعلتِ، سأترككم الآن، مهمتي تأمين ظهوركم، سأتأكد من تأمين طريقكم إلى الغابة

ثم أشار بيده: واجبي الآن يحتم أن أقوم بالجزء الثاني من مهمتي.

قالت سيرينا: وما هي مهمتك؟

انحنى الفارس المقنع قليلًا، ثم قال: مولاتي الأميرة، إن تمام الأمور منوط بأن لا يعرف عنها إلا أقل القليل، وهذا ما أعتمده، أعدكِ وعد شرف، أن أخبركِ بكل شيء عندما تتم هذه المسألة، أما الآن يجب أن أدرك مهمتي، سأترك معكما ثلاثة من فرساني لمرافقتكم في الرحلة إلى الغابة ما قبل المتاهة، وهم طوع أمركِ لا يعصون لكِ أمرًا

قالت سيرينا في امتنان: أشكرك، لن أكافئ صنيعك، أنا ممتنة لك

أحست بعينيه من وراء القناع تبتسمان، وهو يقول: إنما أنا أؤدي واجبي، ومصلحة الجن فوق كل اعتبار يا سيدتي، صحبتكم السلامة، يجب أن تستعجلوا حتى لا ينكشف أمركم، فهذه المنطقة تعج بالجواسيس لكل عشائر الجن، سأتيقن من حمايتكم حتى أصل وجهتي

***

الأميرة سيرينا

استغرقت المسيرة في الوصول إلى بداية الغابة قرابة النصف يوم، بدأت السماء تحتجب، والعتمة تغطي الأجواء عندما وصل الموكب إلى بداية الغابة، مطلع الغابة مجموعة الأشجار الكثيفة وكأنها سور يحيط بالغابة ويجعلها تبدو كحصنٍ أخضر له جذوعًا تجعل الوصول إلى داخلها صعبًا.

بدا وكأن الفرسان المرافقين الذين تركهم المقنع يعرفون طريقه، فقد أخذوا يسيرون بمحاذاة جذوع الأشجار حتى وصلوا إلى فتحة لم يكن فيها جذوع؛ بل كانت تغطيها النباتات الطفيلية المتسلقة.

هنا نظروا إلى هورا التي أومأت برأسها، ثم مدت عصاها إلى تلك النباتات فخرجت موجة خضراء، ما إن لامست أغصان النباتات حتى انفرجت وتباعدت؛ لتكشف فتحة كبرى بدت وكأنها بوابة، عبر الجميع إلى الداخل، وما إن دخلوا إلى جوف الغابة حتى عادت النباتات تغلق المكان مرة أخرى.

نظرت سيرينا إلى هورا بتساؤل، فقالت الأخيرة: إنها بوابة لا تفتح إلا للكهنة بتعويذة المفتاح النجمي

هزت سيرينا رأسها في تفهم، ثم انطلق الركب إلى عمق الغابة.

بعد مسافة قصيرة تخللتها الكثير من الصرخات التي أطلقها جبران

وهو يتألم، مما يجعل الركب يتوقف، ثم ينزله الفرسان لتعاينه هورا، كانت العربة الصغيرة تحمل في جوفها جسد الكاهن الأعظم، بينما تطوع اثنان من الفرسان لحمل جبران على ألواح خشبية تم ربطها بالحبال

مسافة أخرى قطعها الركب حتى وصلوا إلى كوخ يربض على تلة قصيرة، كان هناك دخان يتصاعد من مدخنة الكوخ، وإضاءة تنبعث من نوافذه الصغيرة، مما يدل على أن أحدًا يسكن هذا الكوخ بالفعل.

قامت هورا بمعاينة جرح جبران قليلًا قبل أن يعاود الفارسان حمله، وقبل أن يتحرك الركب؛ لصعود التلة انبعث صوت عجيب من الجوار يقول بلهجة هادئة، واثقة: أهلًا يا ابنة أركيدس التفت الجميع إلى مصدر الصوت.

هنا اتسعت أحداق هورا وسيرينا في ذهول، فلقد كان مصدر الصوت جنية عجوز طاعنة في السن، انحنى ظهرها

لقد كانت وجوم، الساحرة وجوم

***

ابتسمت الساحرة العجوز وهي ترى نظرات الذهول من هورا وسيرينا، بينما لم يفهم الحرس الثلاثة ما سر الموقف، اقتربت الساحرة العجوز ونظرات هورا وسيرينا لا تفارقها، حتى توقفت بالقرب من جبران، أرادت أن تضع يدها على جبينه، ولكن عينيها رصدتا جسد الكاهن الأعظم في العربة، دبَّ القلق على ملامحها لحظة، والتقطت هورا تلك النظرات، فقالت: إنه الكاهن الأعظم جالوس، وكنت أنتظر أن نصل إليكِ حتى أعطيه مزيج الإفاقة، فهو الآن في غيبوبة صنعتها تعويذة ساحر آخر.

بقيت وجوم تتأمل جسد الكاهن الأعظم قليلًا، ثم تنهدت، وعاودت تضع يدها على جبهة جبران، كان القلق باديًا على ملامحها، وهي تقول: اللعنة! هذا الإنسي لن يعيش.

قال سيرينا بذهول: ماذا تقصدين؟

تطلعت إليها: إن رمية الرمح قاتلة، يبدو أنه قُتل برمح مسحور، لقد خرج من طور الحياة، وهو الآن يتقلب في البرزخ، هذه الصرخات وهذه الانتفاضات التي ترينها ما هي إلا تلك الأرواح التي قتلها، إنها الآن تقتله في البرزخ.

ثم واصلت في قلق:

ما عاد لهذا الفتى من أمل، يجب أن ندخله إلى الكوخ بسرعة، سأحاول أن أفعل شيئًا لتأخير هذا.

أومأت سيرينا برأسها، والجنود يعاودون حمل جبران مجددًا، بينما لم تفارق نظرات الشك هورا، وهي تتأمل العجوز.

عندما دخلوا الكوخ تطلعت سيرينا إلى وجوم التي ابتسمت وقالت: كنا نلتقي بين الحين والآخر، ولكنكِ لا تشعرين بي، ولكن التعويذة كانت تجعلكِ تتحولين إلى شخصيتي أنا، ألم تستغربي أنكِ لا تستطيعين التحول إلا لهيئتي أنا فقط؟

ثم واصلت بهدوء: لابد أن ذلك خطر لكِ كثيرًا، فالجن يتلبسون بأشياء كثيرة، ولكنكِ لا تستطيعين إلا أن تأخذي هيئتي أنا.

لهذا قصة طويلة، وربما تسنح الفرصة لأحكيها لكِ، الآن دعينا نحاول إنقاذ هذا الإنسي الملعون، فأنا بالتأكيد لا أود أن أخسره.

قالت هورا في شك: ماذا تعنين؟

تأملت وجوم وجه هورا، وقالت: ألستم تخططون لاستخدامه في إخراج الكيان من المتاهة:

هنا انعقد حاجبي سيرينا في قلق، بينما هورا تقول: لا لن نستخدم هذا الإنسي في هذا الشأن، إن مستقبل الجن يعتمد على أمر آخر، وهو ليس هذا أبدًا.

تأملتها وجوم في برود، ثم هزت رأسها قائلة في لهجة غامضة:
فهمت، حسنًا، على كل حال يجب أن أبذل ما في وسعي لإنقاذه.

هنا نزع الفرسان ملابس جبران، ولم يبق إلا ما يستر عورته، ثم وضعوه على لوح رخامي كبير يتوسط الكوخ الفسيح، وبدأت الكهانة وجوم تتفقد الجرح الذي كان مفتوحًا دون أن ينزف.

جمعت خليطًا من الأعشاب، ثم نثرته على الجرح، تعالت صرخات جبران.

كانت نشيطة ومجدة في محاولة إنقاذه، ولكن عذابات جبران لم تتوقف، لقد عاد إليه كل من قتله، كل ضحية له عاد إليه ليقتله في هذا البرزخ الذي تعلقت فيه روحه.

استمر الليل والجميع يتأمل الساحرة العجوز تحاول إنقاذ جبران، حتى همدت حركته تمامًا، قبيل الفجر كان الإرهاق قد أصاب الجميع، فاتخذ كل منهم زاوية ليرقد فيها وبدا أن الليلة قد انتهت على لا شيء فيما يخص جبران.

***

الساحرة العوسج بعد زواجها من ابن قابيل

قبيل الفجر استفاقت هورا على صوت خافت، كانت وجوم تغادر الكوخ

لم تقاوم هورا فضولها فنهضت في خفة وتسللت ببطء خلف العجوز وقبل أن تصل إلى الباب سمعت صوتها:

إنها اللحظة الحاسمة ولن أفرط فيها بعد آلاف السنين من الانتظار

يا بني

صوت آخر انبعث:

لكن الإنسي يموت يا أمي!

عاود صوت وجوم: كل ما أحتاجه هو القليل من دمائه في قارورة الرماد النجمي

اتسعت عينا هورا في فزع والصوت الآخر يجيب: إذن لا حاجة لنا بالبقية

قالت وجوم: نعم لو صدقت خطة ميناس يكفينا الكاهن، لكن أخطار أن يفيق تجعلني أتردد في استخدامه، ولكن الخطر الأعظم أن يعرف شاوزر بأمر سيرينا، هنا يكون التهديد الفعلي فلا مجال لدخول المتاهة وإخراج..

في تلك اللحظة تململ أحد الفرسان وتقلب وأصدر صوتاً، ما جعل وجوم تتوقف عن كلامها وتعود إلى الكوخ

أسرعت هورا إلى مكانها وألقت بنفسها وتصنعت النوم

دخلت وجوم والفارس ما يزال يتقلب ثم أكمل نومه، لحظات بقيت ثم غادرت مجدداً، لو أنها اقتربت من هورا لسمعت أنفاسها اللاهثة التي لم تزل تتصاعد من هول ما سمعته وذلك الصوت الآخر الذي كان مع وجوم

***

البرزخ

عندما عادت وجوم إلى صاحب الصوت قالت في حزم: لن أنتظر أكثر سأبدأ الليلة في تكوين الترياق

أجاب الصوت: أليست مخاطرة يا أمي

ثم واصل في قلق: لقد هربت بصعوبة من فرسان ذلك المقنع حتى أستطيع أن أدخل الغابة

تأملت وجود السماء قليلا ثم قالت: عجيب أمر هذا الفارس وخاصة في هذا التوقيت بالذات

ثم قالت في صرامة: كل ما عانيناه حتى الآن كان في سبيل هذه اللحظة يا غيلان، ولن أسمح لمخلوق بأن يفسدها

ثم واصلت في غضب: عليك أن تعود وتجمع جيشك وتعود به فالليلة تنتهي جماعة سحرة النجوم إلى الأبد

اتسعت عينا غيلان لوهلة ثم عادت ملامحه إلى البرود وهو يقول في خضوع: كما تأمرين يا أمي

***

بدا وكأن الساحرة العجوز قد عزمت أمرها على أن تقوم ما ستقوم به، أغلقت باب الكوخ بإحكام، شبكت أصابع كفيها، ثم بدأت تتمتم بصوت خافت.

هبت موجة هواء تحركت في أجواء الكوخ لحظة ثم توقفت، أدارت بصرها في أجساد النائمين حولها، ثم أعادت ببصرها وركزت إلى جسد الكاهن الأعظم، تأملته قليلًا، وكأنها تنتظر ردة فعل ما منه، وما إن تأكدت أن لا شيء يبدر منه سوى أنفاسه البطيئة التي تعلو وتهبط، بدأت واتجهت إلى ركن من الكوخ، تناولت وعاءً بلوريًا من الزجاج الأزرق، ثم سحبت خنجرًا ذا نصل ذهبي اللون.

اتجهت إلى جبران الذي كان يغفو إلا من انتفاضات عابرة، اقتربت منه بخطوات وئيدة، ثم قالت وهي تقرب النصل من طرف أضلاعه اليمنى: أعذرني أيها الإنسي؛ ولكن وجودك مرتبط بوجود ابني، ولا شك أن ابني الذي انتظرته منذ سنين طويلة؛ بل هي حياة بأكملها سيساوي عندي الآلاف مثلك.

قالت عبارتها وهي تغرز طرف الخنجر تحت الضلع الثالث الأيمن لجبران، ثم تحركه قليلًا؛ لينسكب الدم من الجرح، فتتلقاه بالوعاء البلوري.

لحظات بسيطة، وقبل أن يكتمل الأمر صرخت بها هورا: لن أدعكِ تفعلين ذلك أيتها الشمطاء، تطلعت إليها وجوم في غل، ثم أشارت بأصابعها نحوها، وهي تتمتم بسرعة، لكن لا شيء حدث.

هنا قالت هورا: لقد كنت قد استعددت تمامًا لأي شيء ستفعلينه، فزرعتُ تعويذة في هذا الكوخ بمجرد وصولنا إليه

قالت وجوم: لن تستطيعي عمل أي تعويذة ما دام هذا الشخص هنا، ثم أشارت وهي تقول ذلك إلى جسد الكاهن الأعظم.

هنا اتسعت عينا هورا في رعب، ثم مدت يدها لتسحب الرمح القصير الذي معها، قالت في توتر: إذًا لا مفر من القتال، فلن أدعكِ تقتلين جبران، وتخرجين ذلك الشيطان في المتاهة.

انعقد حاجبا وجوم في غضب، وهي تقول: أيتها اللعينة! ذلك المخلوق في المتاهة الذي تتحدثين عنه هو ابني ولن أتخلى عنه.

هنا اتسعت عينا هورا في ذهول، بينما علا صوت سيرينا وهي تقول: ابنكِ

التفت إليها هورا، وهي تواصل ابنكِ أنتِ، أنتِ إذًا..

هنا شق صوت الكاهن الأعظم فضاء الكوخ وهو يقول: نعم،

إنها الجنية التي تزوجت قابيل القاتل، والذي بدأت به هذه اللعنة، ثم التفت ببصره نحو العجوز وجوم وهو يقول: سمعت الكثير عنكِ، سمعت الكثير عنكِ يا وجوم

سمعت الكثير عنكِ، كانوا يسمونكِ جوانا.

أنزلت وجوم يديها وقالت: لا، اسمي الحقيقي هو العوسج.

اتسعت عينا الجميع في ذهول، وهي تواصل: لقد كنت أنا سبب تسمية تلك الشجرة أصلًا، فمنذ ظهرت على وجه الأرض لأول مرة كنت أنا أول من اقتطف نبتتها.

تأملها الجميع في ذهول، بينما سيرينا تقول: هل تعنين؟

قال الكاهن الأعظم: نعم، إنها تعني ما تقول، إنها أقدم الجن على الأرض، إنها من أوائل الجن الذين كانوا بعد هبوط البشر.

حاولت أن تتحرك بعدها، لكن الكاهن الأعظم قال: إياكِ والمحاولة يا عوسج، أنتِ تعلمين أنني لن أسمح لكِ بها تنوين عليه.

قالت في غل: حالتك لا تسمح بأن تقوم بأي شيء.

أومأ برأسه في وقار، وهو يقول: وحالتكِ كذلك.

قالت هورا في تساؤل: ماذا تعني سيدي الكاهن الأعظم؟

ابتسم الكاهن الأعظم جالوس وقال: أعني أنني لا أتوقع من جنية عمرها أكثر من عشرين ألف عام أن تستطيع أن تقوم بأي شيء.

هنا جلست الساحرة العجوز على مقعد خشبي إلى جوارنا وهي تقول في حزن: إذًا أنت تعلم؟

نهض الكاهن الأعظم وهو يقول: نعم، فقوة السحر تنضب مع طول العمر، وأنتِ تجاوزتِ أعوام كل بني جنسك ولا ينافسكِ في البقاء إلا إبليس نفسه، وما عاد هناك وقود يسقي شجرة السحر في داخلك، وربما تستطيعين هزيمة هورا، ولكنكِ لن تستطيعي هزيمتي أبدًا.

تطلعت إليه هورا في تساؤل، بينما قالت العجوز: كيف حدث هذا؟

ابتسمت هورا في ثقة وهي تقول: لقد كذبت عندما أخبرتكِ أنني أنتظر حتى نصل عندكِ حتى أعطيه العقار، فبمجرد أن غادر غيلان أسقيت الكاهن الأعظم العقار تحسبًا لأي طارئ.

قال الكاهن الأعظم مبتسمًا: لقد بدأتِ تصيبينَ بعض الحكمة يا هورا، وهذا يسعدني، فقد كان تصرفكِ ملائمًا تمامًا.

تطلعت العوسج إلى الكاهن الأعظم، وقالت: لن يوقفني أحد يا جالوس، المسألة ما عادة تحتمل الانتظار.

اقترب الكاهن منها، ثم قال: لن يوقفكِ أحد أيتها العوسج؛ ولكنك لن تفعلي شيئًا، فلن أسمح أبدًا بأن يتحكم قاتل، ملوث العقل، بمصير الجن كلهم، بعد أن ظهر وريث العرش لن يكون لشاوزر المزيد من قوى الظلام حتى يتحكم بهذا العالم.

قالت في غضب: اللعنة على شاوزر، وهل تعتقد أنني فعلتُ كل هذا من أجل شاوزر؟!

أشار الحكيم بيده قائلًا: أعلم أنكِ تريدين إنقاذ ابنكِ نصف الجني ونصف الإنسي من المتاهة ثم أشار بيده: ولكن وجود ابنك نفسه هو دليل على استمرار اللعنة، لم يكن أحد قد ارتكب جريمة أبدًا حتى قتل قابيل هابيل، حتى الحرب التي كانت بيننا وبين الملائكة كانت حربًا لأن فرقة من الجن عصوا أوامر السماء وتسببوا في هلاكنا، وسقوط ملكنا وعشائرنا، وقد قضينا فترة طويلة حتى قام الجبل الأسود بعمل إمبراطورية ضخمة قادها أركيدس بعد أبيه ، تلك المملكة استطاعت توحيد الجن بأكملهم، لأول مرة منذ آلاف السنين كان لنا مملكة حقيقية، مملكة توفر الرخاء للجن، ويعيش كل عشائر الجن تحتها دون رتب، ودون تفرقة.

ولكن هناك من يطمعون دوماً، هناك من يريدون أن يتحكموا بمصائر المخلوقات، أيًا كانت الأسباب، وهذا ما أغرى شاوزر وسواه، وطالما بقي ابنكِ أسير هذه المتاهة فهناك احتمال كبير أن يعود السلام، وهناك احتمال كبير أن يكون للجن مملكة مرة أخرى، ولكن إذا خرج ابنك من المتاهة فإن لعنة الظلام ستسود كل شيء، وسيخسر الجن حياتهم كلها؛ ولن أسمح بهذا.

هنا وفجأة صرخت العجوز، وهي تستل من تحت المقعد خنجرًا آخر؛ لكنه كان أزرق اللون، صرخت في جنون: عليك اللعنة يا جالوس!

انقضت على الحكيم؛ ولكن قبل أن يصل النصل إلى عنق الحكيم جالوس توقفت يد العوسج في الهواء وسقط النصل الأزرق اللامع من يدها قبل أن يصل إلى عنق الكاهن، فسقطت وهي تختنق

كانت سيرينا التي راقبت كل شيء، واستمعت إلى كل شيء قد انتبهت إلى حركة العجوز الغادرة، فاستلت سيفها وانقضت به لتغرزه في صدر العوسج ليخرج من ظهرها.

شهقت العوسج شهقة أخيرة، ثم سقطت أرضًا، وسيرينا تسحب سيفها من جسدها وهي تنتفض رهبة وخوفاً فهي المرة الأولى التي

تقتل فيها، ولا تعرف حتى كيف لهذه القوى بداخلها وكأنها تدربت على القتال لفترة طويلة.

وعندما بات جدها مهدداً قتلت العوسج بكل قوة ودون تردد دفاعاً عنه

اقترب منها الكاهن الأعظم، ورفع رأسها؛ ليضعها على فخذيه، قائلًا: أيتها المجنونة! لقد قتلتِ نفسكِ

ابتسمت وهي تقول: أتصدق أنه ما كان أحد يستطيع أن يقترب مني يا جالوس، كنت أستطيع أن أتحكم في تلك الأسلحة، كنت أستطيع أن أجعل السيوف تتصلب في أغمادها فلا تخرج، لكن سيرينا قد أخذت مني كل شيء الآن.

تأملها جالوس، بينما دموعها تهبط من عينيها وهو تقول: أرجوك لا تقتله، لا تقتل ماركوس

تطلع إليها وهو يمسح على شعرها الأبيض: لا تقلقي، لم يكن في نيتي أصلًا أن أقتل ماركوس، ولكن أمان كل المخلوقات هو أن يبقى في سجنه فلا يخرج منه، تلك الظلمة التي احتلت أعماقه قد مسحت على كل شيء، صدقيني يا عوسج لم يبقِ من ابنكِ ماركوس إلا صورته

فقط، إنما أعماقه هي بئر عظيمة سوداء، قد مات فيها ألف ألف شيطان.

سالت دموعها: أعلم هذا، ولكنه يبقى إبني مهما كانت حقيقته يا جالوس، وما كنت إلا لأفعل ما فعلت، حتى وإن كان ضد كل قوانين الكون

هنا تعالت شهقات متقطعة من جسد جبران، فابتسمت العوسج قائلة: يا لسخرية الأقدار سأرحل عن هذا العالم مع الإنسي الذي انتظرته طويلًا حتى ينقذ ابني.

اقتربت سيرينا من جبران لتجد ملامحه تودعها بشفاه تنتفض وعينان يعمهما السلام، وقد سكن جسده تمامًا، احتضنته رفعت رأسه لتتأمل شعره وتسمح عليه ، أصابعها تتخلل شعره وتتأمل ملامحه المبللة بدموعه، لم يمت جبران كمثل أي بشري، لقد كان موته قطعة من العذاب بعالم آخر وسط جموع من الجان عن يمينة كاهن وعن يساره جنية عمرها آلاف الأعوام ، لم يمت وحوله بشري قط ليغسل جسده ويدفنه ويصلي عليه وفق عقيدته، لم يختر كيف يموت لكن القدر رتب له كل شيء، تحتضنه كمد في تلك اللحظة وللمرة الأخيرة، وليست الأميرة سيرينا وريثة العرش هذا ما قالته لجدها الكاهن الأعظم عندما طلب منها أن تترك جبران ، نظرت له وهي تقول لجدها: إنه يبتسم.

أومأ الكاهن الأعظم جالوس برأسه، وقال: نعم، لقد انتقمت منه كل الأرواح في البرزخ، إنه الآن يتجه إلى العالم الآخر بسلام.

قالت العوسج وهي تلتفت نحو سيرينا: إن كان هناك بقية من أمل للجن فهي أنتِ، لن يسامحك غيلان على فعلتك لقد قتلتِ أقرب قريب له، وهو الذي جعلكِ لا تظهرين إلا بجسدي وهيئتي لأنه يؤمن أنني لن أؤذيك وها أنتِ تقتلينني

ثم تنهدت وأنفاسها تضيق:

نعم لقد كنت أنانية فلم أر سوى ما تراه الأم التي تريد أن تنقذ ابنها فقط، لم أر حقيقة الأمور، والآن حتى بعد أن رأيت حقيقة الأمور كنت قد تأخرت كثيرًا، أرجوكِ أن تركك غيلان ولم يقتلك لا تتركي الظلام لشاوزر، كل ما أرجوه منكِ هو أن لا تقتلي ماركوس.

أومأت سيرينا برأسها، ودموعها تنسكب: لن أقتله ما دام في سجنه

بينما العوسج تتطلع إلى الكاهن الأعظم جالوس قائلة في صفاء: هل تعلم رأيتك مرة أثناء تدريبك عندما كنت ساحرًا طائشًا، يومها سألت نفسي: كيف لو قادتني الأقدار أن ألتقي بك.

انتفض صدرها فسعلت وهي تقول: بالتأكيد ليس على هذا الشكل.

أومأ جالوس برأسه وهو يمسح جبهتها قائلًا: حتى أنا كنت أتمنى أن ألتقي بكِ، إنكِ آخر عظماء الجن أيتها العوسج وإن ضللتِ طريقكِ، لكنكِ آخر سلالات الجن الكبيرة.

أغمضت عينيها ثم قالت: لا.. لست آخر عظماء الجن، هناك ابني ماركوس فهو نصف جني ونصف آدمي

أومأ الكاهن برأسه: لكن نصفه آدمي

هزت العوسج رأسها ثم قالت مبتسمة: بقي شخص آخر من عظماء الجن، عندما تنتهي هذه الغمة يا جالوس أريدك أن تذهب إليه

ثم أشارت إلى ركن الكوخ قائلة: ذلك الصندوق أسفل النافذة ستجد فيه خريطة من خرائط النجوم.

اتسعت عينا جالوس وهو يلتفت إلى الصندوق قائلًا: من خرائط النجوم؟!

أومأت برأسها قائلًا: اعتبرها هدية وداع مني، فإن حكمة الجن وتعاليم النجوم ستكون بأمان بين يدي حكيم مثلك.

قالت عبارتها ثم تنهدت تنهيدة طويلة بعدها انسابت الكلمات من فمها بصوت رخيم حزين: لتعلم السماء بأنني أردت إنقاذ إبني، ولتسامحني الروح العظمى على خطيئتي الوحيدة في أنني أنجبته وخذلته مثلما فعل الآخرون

انسكبت دموعها مواصلة: سامحني يا ماركوس على عدم الوفاء بما التزمت به لك قبل أن يسجنك ملك الجن، سامحني يا بني على أنني لم أسع في شفاء روحك بدلا من تحرير جسدك وظلامك

انسابت دموعها بغزارة يشاركها فيها الكاهن الأعظم الذي دمعت عيناه تأثراً بكلماتها الحزينة المليئة باللوعة والألم

أغمضت العوسج عينيها بعدها، وحدث أمامهم جميعًا مشهد لم يكن قد رأوه من قبل..

تحول جسدها إلى اللون الأبيض المشرق، وكأنما هناك مصباح ذاتي ينبع منها، ثم أشعت عينيها التي انفرجت عن ضوء أزرق لامع، ثم لحظات اشتعلت نيران بيضاء ذات لهب أزرق في جسدها كله.

ابتعد عنها جالوس وهو يتأملها في رهبة وانبهار، وكلمح بالبرق تجمع اللهب ككتلة دائرية واحدة، ارتفعت ثم غادرت من نافذة الكوخ إلى السماء.

قالت هورا في ذهول وهي تنظر: ما هذا؟!

تنهد جالوس في رهبة وقال من بين دموعه: هكذا كان يموت عظماء الجن، وهكذا تستقبل السماء أرواحهم بعد الغفران لهم، إنها أول مرة في حياتي أرى هذا المشهد

هدأ بعدها كل شيء. وهورا وسيرينا يجمعان الرماد المتبقي من جسد العوسج ليضعه جالوس في الصندوق بعد أن أخذ الخريطة منه، ويغلقه بإحكام قائلًا: بعد أن تنتهي هذه الغمة سأدفنها في الجبل الأسود إكرامًا لها.

***

ماركوس بعد لعنة الكيان

ما قبل الختام

مرت ساعات قضاها الكاهن الأعظم وهو يتأمل خريطة النجوم، كانت بكل المقاييس تحفة تاريخية وأثرية، من يرى الخريطة للوهلة الأولى يرى مجموعة من الخطوط التي تتقاطع وتستدير على محيط رقعة الجلد، وهذا ما صرحت به هورا قائلة: لا أدرى ما يميز هذه الخريطة عن سواها.

ابتسم الكاهن الأعظم قائلًا: أخبرتكِ أنكِ بدأتِ تلتقطين بعض الحكمة، وليست كلها، على كل حال، هذه الخريطة تعتمد على تعامد الأقمار، بمعنى: عندما تتعامد الأقمار في ثلاثة مواقيت في السنة، يمكنكِ ببساطة أن تضعيها تحت الضوء، حينها ستظهر الخريطة الحقيقية.

اتسعت عينا هورا في انبهار، ونظرت إلى الخريطة؛ ولكن هذه المرة بنظرة مختلفة تمامًا.

لحظات علا بعدها صوت غريب، هذا الصوت كان صوت يشبه صوت طائر الحناء.

هذا الصوت جعل الكاهن الأعظم ينهض في تحفز، وهو يتطلع إلى النافذة، ثم أشار إلى سيرينا وهورا والحرس الثلاثة بالاستعداد.

نهض الجميع ليخرجوا من باب الكوخ، وكانت أمامهم مفاجأة

كبيرة، كان هناك عدد من الفرسان يتجاوز الألف فارس، يتقدمهم غيلان الذي اتسعت عيناه في ذهول وهو يتأمل الخارجين من الكوخ، لكنه استجمع شتات نفسه وهو يسأل بلهجة حاول أن يجعلها قوية: أين صاحبة الكوخ؟

تطلع إليه الكاهن الأعظم قائلًا: لقد رحلت العوسج إلى السماء يا غيلان.

شحبت ملامح غيلان، ثم قال في إنكار: أنت تكذب.

عقد الكاهن الأعظم كفيه أمامه، قائلًا: أنت تعلم بأن الكاهن الأعظم لا يكذب.

ازدرد غيلان ريقه وهو يقول: غير معقول، لا يمكن.

ابتسم الكاهن الأعظم في إشفاق وهو يقول: إنها الآن مع سادات الجن الكبار، إنها الآن مع عظماء الجن في السماء، فقد رحلت مبتسمة، وانطلقت إلى النجوم، وقد رأينا جميعًا ذلك.

هنا تبدلت مشاعر غيلان، قائلًا: يالسماء أمي!

ثم صرخ في غضب: لن أغفر لكم، لن أغفر لكم أبدًا

قالها واستل سيفه، فاستعد الجيش معه.

فقال الكاهن الأعظم: إياك يا بني، لقد عرفت كل شيء ومن تناديها بأمك قد رحلت، وما عاد هناك شيء تستطيع أن تفعله.

قال في غل: بل يوجد، سأحقق لها ما كانت تريده، وسأنقذ ماركوس من المتاهة.

لطالما كانت هذه رغبتها، وكنت أحاول أن أبعد الأنسي عن أرض العوسج وأعاقب كمد عندما تذهب إليه حتى لا أجعل لوالدتي أمل بخروج أخي، كنت أخاف عليها من مشقة خروجه و ماذا سيحل بها إن لم تتمكن من السيطرة عليه، لكن الآن وقد رحلت لا مفر من أن ألبي لها رغبتها

تطلع إليه الكاهن الأعظم، بينما اتسعت عينا هورا وهي تسترجع نبرة الصوت التي تكلم بها غيلان، وأدركت فعلًا أن غيلان هو الذي كان يتحدث مع العوسج خارج الكوخ.

واصل غيلان قائلًا: الآن سأنقذ أخي مهما كلفني الأمر.

تطلع إليه الكاهن الأعظم وقال: هو ليس أخوك حتى وإن كانت العوسج أمك، إنه مقبرة مظلمة حتى الشياطين تعجز عن مواجهتها ويكذب كل من يرى أنه يمكن التحكم بماركوس يا غيلان

ثم واصل الكاهن في حزم: أنت تعلم أنني لن أسمح لك بذلك،

فلا تكلف نفسك وعشيرتك الدماء يا غيلان، إن خروج ماركوس من المتاهة لن يفعل إلا أن يترك الظلام يحيط بهذا العالم، حتى عالم الإنس لن ينجو من بطشه وشروره.

أجابه غيلان: أنا أستطيع أن أتحكم به، أنا قادر على هذا.

ردَّ عليه الكاهن الأعظم: لا تكن أحمقًا، فحتى العوسج نفسها لم تكن لتتحكم به، إنه طلسم من الشر صنعه الشيطان بنفسه

ثم أشار بيده في قوة: لقد انقسم الجن بعد هبوط البشر على الأرض، تلك اللعنة هي التي تسببت أن نكون نحن جنًا وشياطين، بعد أن كنا جنساً واحدًا وجماعة واحدة ينسبون إلى الجن فقط، تذكر هذا جيدًا ولا تكن بالحماقة التي ستودي بالجميع إلى التهلكة.

أشار غيلان بسيفه إليه وقال: لن أترككم أحياء، وسأخذ دماء الإنسي، وأسحبك من عنقك إلى المتاهة حتى أطبق الطقوس التي علمتني إياها أمي، وسأطلق سراح ماركوس شئتم أم أبيتم.

شبح ابتسامة يطفو على شفتي الكاهن الأعظم وهو يقول: لا تتحدث عني وكأنني جني ضعيف لا حول له ولا قوة، فلن أسمح لك أن تأخذني، حتى جثة هامدة إلى هناك، ولن أسمح لك بأن تفسد مستقبل الجن بعد أن ظهر الوريث.

هنا أشار غيلان إلى وزيره الكاهن إلى جواره إشارة ذات معنى، اصطف الجنود عندها واستلوا أسلحتهم، ورفع غيلان سيفه قائلًا صارخًا: اقتلوهم جميعًا وأبقوا على الكاهن الأعظم.

استلت سيرينا سيفها وهي تنظر لغيلان كعدو حقيقي هذه المرة وشهرت هورا رمحها وهي تقف أمام سيرينا لتحميها، بينما ابتسم الكاهن الأعظم وهو يرفع يديه على وجهه، ثم يلصق كفيه ببعضهما؛ ليتمتم بتعويذة سريعة أطلقت هبة من الهواء، أحس بها الجميع، لتصعد إلى الأفق، ثم تتحول إلى صيحة هادرة، أدخلت الوجل في أعماق كل الجيش، حتى غيلان نفسه ارتعدت فرائصه من هذا الصوت.

لحظات بعدها تخطت السماء بوابل من السهام، هبط على فرسان غيلان، فتساقط بعضهم، واحتمى بعضهم بالدروع؛ لكنهم لم يكبحوا جماحها، وما إن توقف سيل السهام، وهدأت الأجواء حتى اعتزل البقية الأحياء من الفرسان وهم يديرون بصرهم حولهم محاولين اكتشاف مصدر هذه السهام التي غزت عليهم.

هنا خرج عدد من الرجال، كانوا نحلين البنية برؤوس بيضاوية وجوههم رمادية يرتدون دروعًا من الجلود المدعمة بالحديد والفولاذ، خرجوا جميعًا من خلف الأشجار، ليقفوا خلف الكاهن الأعظم مشهرين أسلحتهم.

جزّ غيلان أسنانه وهو يقول: اللعنة! الرماديون!

ابتسم الكاهن الأعظم، وهو يقول: الآن ستكون المعركة عادلة.

توتر غيلان فعلًا، فقد تصور أن ما حدث هو مجرد تهديد، وأنه سيغادر الآن بعد أن يتركهم، ولكن الكاهن الأعظم قد قرر حينها أن تكون هذه معركة لينتهي كل شيء في هذا المكان.

ما كان أمامه إلا أن يعيد تصويب سيفه ثم يصرخ بمن معه ليهجموا على الفرسان.

الفرسان الرماديين كانوا قرابة المئة، وما تبقى من فرسان غيلان كان بالتأكيد أكثر منهم، ولكن في كل الأحوال كانت المعركة غير متكافئة.

فمع إشارة الكاهن الأعظم انطلق الرماديون كالسهام، كانت سرعتهم كالبرق، ضرباتهم لا تخطئ سيوفهم المائلة مثل شفرات حادة لا تبقي ولا تذر..

كان أحدهم يطيح بضربة سيفة باثنين أو ثلاثة من فرسان غيلان، حتى غيلان نفسه لم يستطع أن يقاوم رغم شجاعته وبسالته إلا أن المشهد في النهاية انتهى به مكبلًا، مقيدًا عند قدمي الكاهن الأعظم.

تطلع إليه الكاهن الأعظم قائلًا في أسف حقيقي: لم أكن أريد سفك الدماء، ولكن أعلم أن أمثالك لا يمكن أن يؤتمن جانبهم إلا بعد أن تقص أجنحتهم، وكان لابد أن أقص جناحيك.

ثم التفت إلى الفرسان الرماديين قائلًا في حزم: خذوه إلى سجن القلعة، واختاروا له زنزانة بين الصخور حتى ينتهي هذا الأمر وتحكم فيه ملكة الجن

تلعثمت سيرينا: ملكة الجن!

أومأ الكاهن برأسه وابتسمت هورا قائلة: هذا ما ستنتهي عنده الأحداث يا سمو الأميرة، فكل المتبقي هو أن تجتمعي بسادة العشائر والقبائل ليتعرفوا عليك ويشاهدوا الوشم الملكي ثم يبايعونكِ

تطلعت سيرينا إلى الكاهن الأعظم في تساؤل فقال في حنان: هذا هو ما سيحدث يا عزيزتي

***

الرماديون: سادة العالم السفلي

تأملت سيرينا الصخرة السوداء التي أقامتها على قبل جبران، ثم أغمضت عينيها في حزن لتبتسم بعدها في حنان:

لترقد روحك بسلام يا جبران، لقد كنت أجمل من تلك اللعنة وقد رحلت بسلام بعد أن سددت وِزرَ تلك الأرواح التي أزهقتها في طريقك المظلمة

تنهدت مواصلة: ليكن النور الآن هو طريقك إلى العالم السماوي أيها الصديق الطيب

ابتسمت هورا في تأثر بينما تطلع الكاهن الأعظم إلى سيرينا قائلًا: والآن أيتها الأميرة ما الذي سنفعله.

تطلعت إليه في تعجب للحظات، ثم قالت: سنكمل طريقنا.

اندهش الكاهن الأعظم: ماذا تعنين؟!

ابتسمت وهي تقول: أعني سنكمل طريقنا إلى المتاهة.

تساءل في دهشة: ولماذا المخاطرة؟ لقد انتهى الأمر

هزت رأسها مبتسمة وهي تقول: جدي المسألة لم تنته، وسيظل هذا التهديد قائمًا، وسيبحث الجميع دومًا عن دم بشري ملعون ودماء ملكية لإيقاظ هذا الشر والتحكم به، إنهم جميعًا يظنون أنهم قادرين

على التحكم بباركوس، والحل الأمثل: أن ينتهي هذا التهديد تمامًا فلا يبقى لأحد أبدًا أي سبيل لتهديد وحدة الجن.

تساءلت هورا: ماذا عن وعدكِ للعوسج؟

أجابت سيرينا: إنها أم في لحظاتها الأخيرة وما كنت لأتركها تموت بحسرة على ابنها، خاصة وأنها من عظماء الجن ومن آخرهم وما كانت لتفتح لها أبواب السماء لو ماتت حزينة أسيرة لظلام نفسها، فكان لابد أن أتركها ترحل بسلام

ابتسم جالوس وقال: تتحدثين كملكة، أنا فخور بكِ يا صغيرتي.

عانقته سيرينا في حنان، ثم التفتت إلى هورا قائلة: أنتِ حرة في أن تمضي معنا أو تعودي إلى الأهوار إذا أردتِ ذلك.

انحنت هورا في احترام، ثم رفعت عينيها التي تلألأت بالدموع قائلة: وهل أنا مجنونة كي أترك هذه اللحظة التي حلمت بها طول عمري أن أكون مع وريث عرش مملكة الجن في أن نوحد أرضنا وعشائرنا، لا يمكن أن أفوت هذه الفرصة يا مولاتي.

تطلعت سيرينا إلى الفرسان الرماديين قائلة: أنا سيرينا ابنة أركيدس دم والدتي الذي ينتمي لكم ومنكم هو بعروقي وأنا ابنة ملك أورثني عرشاً ينتظرني، ثم رفعت سيفها:

من أراد منكم المضي معنا فأهلًا به، ومن أراد أن يغادر صحبته السلامة.

انحنى الفرسان جميعًا أمامها، وبصوت واحد قالوا جميعًا: نحن معكِ يا مولاتي.

هذا المشهد جعل العبارات تختنق في حلق غيلان والفرسان يقتادونه مهزوماً مدحوراً، الابنة التي أخفاها لسنوات خوفاً من هذه اللحظة التي تكون بها أميرة ووريثة عرش الجان مُطاعة بعد أن كانت تحت سيطرته وتنصاع لأوامره كان يتأمل هذا المشهد قبل أن يقتاده كوكبة من الفرسان الرماديين لتنفيذ أوامر الكاهن الأعظم بسجنه في العالم السفلي

إنها البداية فقط، البداية الحقيقية كانت كمد الابنة المدللة والأسيرة في العوسج غير المسموح لها أن تندمج مع أقرانها فأورثتها تلك العزلة العناد والطيش والتمرد على غيلان رغم خوفها من جبروته، مما جعلها تفكر دائماً بعصيانه لكنها تخاف أن تحبس بجسد وجوم وتفقد قدرتها على العودة لنفسها، الآن هي الأميرة سبرينا وريثة السلالة الملكية للجن، وبيدها أن تغير مصائرهم جميعًا، لتقودهم نحو السلام الأبدي.

اليوم سيرينا تقرر أن تحطم الأغلال الحقيقية، أغلال خوفها، أغلال رعبها التي جعلتها تخاف بالسابق، وتحاول أن تتعلق بما ينسيها هذا الخوف، حتى أنها تعلقت بصبيانية، بإنسي ملعون بداء القتل.

اليوم هي وريثة عرش الجن التي اختارت مصلحة شعبها على مصلحتها الذاتية، اليوم تنطلق سيرينا في رحلة غامضة تتحكم في مصير الجن جميعًا، رحلة نحو المجهول، رحلة سيكون لها ما بعدها.

الغابة اليوم هي بداية الطريق، والمتاهة هي قلب القصة، وما سيأتي بعد ذلك سيكون فيه مستقبل الجن أو هلاكهم هذا منوط بالأيام القادمة، ومنوط بشجاعة فؤادها، وجسارة أعماقها على اختيار القرار الصحيح مهما كانت التداعيات، فهنا هي تقرر عن شعب بأكمله، وليس عنها فقط.

***

من على طرف تلة قريبة تطل على الساحة أمام الكوخ، وقف الفارس المقنع يتأمل ما حدث وعينيه تشرقان بابتسامة راضية

مال فارس آخر يقف إلى جانبه قائلاً: ماذا الآن سيدي الأمير؟

التفت إليه المقنع: سنراقب عن كثب من خلال جواسيسنا، حتى نكون جاهزين للتدخل إن دعت الحاجة

تسائل الفارس: لماذا لا نرافق الأميرة في الرحلة؟

أجاب المقنع: دعها تعتمد على نفسها وتكتشف أعماقها

ثم أدار بصره ينظر إلى سيرينا: ما رأيته حتى الآن يدل على أنها ملكة حقيقية، ومع كل موقف أو تحدي ستظهر شخصيتها وتطغى ولن أحرمها حقها في أن تأخذ زمام الأمور بنفسها

أومأ الفارس بتفهم ثم قال: سأرسل الفرسان السبعة أنفسهم في إثرها حتى نبقى على إطلاع بأحوالها حتى تصل إلى المتاهة

هز المقنع رأسه ثم أمال لجام جواده مغادراً: يجب أن نعود حتى لا يشعر أحد بغيابنا، ثم نتحرك بعدها وفق ما تتمخض عنه الأحداث

قال عبارته وغادر فتبعه عدد من الفرسان كانوا يختفون بين الأشجار

***

الفارس المقنع ذو الدرع

وصلت كوكبة الفرسان التي حملت معها غيلان إلى أرض الرماديين، طافت ذاكرته إلى تلك الليلة التي أطلعته فيها العوسج على خطتها لإنقاذ ماركوس

يوما قالت له في حنان وهي تمسح على رأسه: سنصادف معاً الكثير من التحديات يا بني، الأهم ألا تهتز ثقتك بأمك وألا تحيد عن هدفنا الأسمى في أن ننقذ أخاك من سجنه

أومأ برأسه يومها وقال مخلصاً: سأفعل كل شيء يا أمي حتى أنقذ أخي ماركوس

هنا قالت في اهتمام: عندما لا أكون موجودة

قاطعها في صوت ملهوف: لا تقولي هذا يا أمي، سننقذ أخي معاً

ابتسمت في حنان وهي تمسح دمعة فرت من مقلته: آه يا صغيري، لقد عشت كثيراً وفقدت الكثير من قوتي، لكنني لن أتوقف عن هدفي ما بقيت حية

ثم تمالكت نفسها وهي تواصل: عليك أن تكون قوياً مهما كانت التحديات يا غيلان

ثم نهضت من مكانها إلى خزانة بلورية أخرجت من جوفها علامة ذهبية وعادت إليه لتضعها بين يديه

تأمل غيلان العلامة الذهبية واستقرت نقوشها العجيبة في رأسه والعوسج تقول: بمجرد النظر لهذه الشارة الذهبية سترسخ في رأسك يا صغيري، وعندما لا أكون موجودة عليك فقط أن تردد الكلمة المنقوشة على الشارة

تطلع إليها في تساؤل فواصلت: مهما بدا ما أقوله جنونياً عليك أن تثق بي وتفعل ما آمرك به يا غيلان

هز رأسه مطيعاً فأكملت مبتسمة: سترددد هذا الاسم المنقوش عندما تقع في مأزق حتى يأتيك من ينقذك

وضعت يدها على كتفه وهي تستعيد الشارة: هل فهمت ما أخبرتك؟

أومأ برأسه ثم بدأ يردد أمامها الاسم

استعاد غيلان تلك الذكرى وكوكبة الحرس تعبر به إلى داخل مدينة الرماديين فبدأ يردد بصوت مسموع: يائيلوس.. يائيلوس

تأمله الحرس في تعجب وانبرى أحدهم ساخراً: يبدو أن زعيم العوسج فقد عقله بعد الهزيمة الكبرى التي حلت به

قالها وضحك وشاركه بقية الرماديين الضحك، وغيلان يردد في إصرار ذلك الاسم العجيب

***

قلعة الجبل الأسود

ماركوس

ليس جزء من الحكاية، هي حكاية ماركوس التي لا تروى فكيف بنصف أنسي ونصف جني محبوس منذ آلاف السنين يتغذى على الأرواح ويشرب دماء الظلام السوداء، يصيح مرة كل ألف عام فتموت الأشجار والحيوانات، وترتعد كل المسامع خوفاً، كابوس يراه المنجمين والكهنة ، ويحذر من أن يقترب أحد من المتاهة فالطريق للمتاهة محاط بالمخاطر والهلاك ، التعويذة والترياق والرماديون مجرد أدوات للوصول، وعند الوصول هناك ما هو أعظم ..

تنفس ببطء الآن أيها الظلام..

فالكيان قادم.

ماركوس قادم من قلب العتمة ليحرق كل شيء بنيران الانتقام

متاهة بالعالم السفلي وعند دخولها تبدأ الملحمة الكبرى

تستكمل أحداث الملحمة في الجزء الثالث

العوسج ٣